رِوايَة

# حارِسُ الْبَوَّابَةِ

G a t e k e e p e r

د. محمد الشحات

# الإهداء

.....

منذ اثنى عشر عاما .... كنت عائدا من العمل منهك القوى .. فإذا به يطلب منى أن أكتب مسرحية من فصل واحد مدتها ربع ساعة لتمثلها فتاة فى المرحلة الإعدادية .. فسألته متعجبا ... هوه انا بعرف اكتب؟ ... قال لى ... أكيد.

ومنذ ذلك اليوم لم أتوقف عن الكتابة

إنه أخى الصغير أحمد الشحات ... ... إهداء اليك يا أخى الأصغر

وإهداءا الى روح أبى

وإهداءا إلى أمى وإخوتى جميعا

وإهداءا إلى (قارئتى الوحيدة المستديمة) زوجتى

وأبنائى

والشعب المصرى كله ما عدا اتنين هابقى أقول لهم هما مين بينى وبينهم

books-spring.com

مقدمة المؤلف..

قضيتان كبيرتان .. مبهمتان .. شديدتا التعقيد .. الروح والمتعة .. كلنا نعرف أن لنا روحا .. لا نستطيع تصورها .. وكل منا له متعته الخاصة فى شئ يحبه ويحصل من خلاله على النشوة الكاملة .. ومن خلال ذلك ..... بس خلاص

books-spring.com

- «هيمه».. حط سماعات «الووكمان» وعيش معاه، السكة طويلة من مطروح لمصر.

قالها عبد الرحيم غالي وهو يقود سيارته عائدًا إلى القاهرة من مرسى مطروح بعد أسبوع حاول خلاله بكل طاقته إسعاد ولده «إبراهيم»، الطفل الذي لم يكمل التاسعة من عمره.

ثم وجَّه حديثه بعد ذلك لأخيه «عبد الرحمن» الذي يجلس بجانبه في السيارة بينما وضع «إبراهيم» السماعات في أذنه وبدأ يهتز مع نغمات «الووكمان» ويتابع الصحراء المترامية مبتسما في سعادة متذكرا الأيام الخمسة التي قضاها برفقة أبيه وعمه يتنقلون بين شواطئ مطروح الهادئة ويتفانون في تمضية الوقت معه كعادتهما كل عام حيث يفرغان نفسيهما من جميع مواضيع البيزنس والعمل فيلعبان معه «الكوتشينة والدومينو واستغماية وكهربا» وينطلقان معه

في سباقات على الشاطئ ويلعبان الراكيت ويأكلان معه «الجيلاتي والمصاصات والبوزو».

وما هي إلا لحظات.. لم يدرِ «إبراهيم» ما حدث، لكنه وجد نفسه فجأة في طرقة مستشفى بين غرفتي طوارئ زجاجيتين يرى عن يمينه من خلف الزجاج أباه وهو يتلقى الصدمات الكهربائية في صدره وعن يساره عمه في الحال نفسه ويتابع – دون وعي – الأجهزة الموصلة إليهما.

وفي حركة دائبة داخل الغرفتين ومع انتفاض أبيه وعمه مع الصدمات، لم يكن غريبًا أن يعلم – من خلال المونيترات ورد الفعل داخل الغرف – أن أباه قد فارق الحياة، أما عمه فقد عاد إليها.

ليدخل الطفل الصغير في صراع نفسي رهيب.. وتساؤلات قد تكون أكبر من طاقة استيعابه..

صعدت روح عبد الرحيم غالي إلى السماء ولم تفلح الصدمات الكهربائية في إعادتها، بينما أفلحت الصدمات نفسها في إعادة

books-spring.com

الروح لعبد الرحمن غالي.. هكذا تصور «إبراهيم» ولم يقف في تصوره عند هذا الحد؛ حيث اعتقد اعتقادا حثيثا أن روح أبيه قد استقبلتها السماء وفتحت لها الأبواب بينما رفضت السماء استقبال روح عمه عبد الرحمن غالي.. ومنذ ذلك اليوم ولا يشغل بال «إبراهيم» إلا تساؤل واحد أراد أن يسأله للحارس المسئول عن مرور الأرواح: لماذا؟ فقط لماذا يتقبل أرواحًا ويترك أخرى؟

* * *

في ردهة المنزل مرتفع الأسقف ذي الطوابق الثلاثة بوسط البلد.. أبواب المنزل طويلة ذات شراعات زجاجية مستطيلة طولية وأمام زجاجها حديد ذو أشكال دائرية وقائمة.. وشبابيكه طويلة أيضا ذات شيش وزجاج علوي وسفلي والحديد نفسه.. وتحيط بمدخل المنزل حديقة صغيرة مهملة الزرع.

books-spring.com

وفي الدور الأرضي حيث يسكن، جلس «إبراهيم» غارقا في الفيلم الذي يُعرض أمامه في التليفزيون، متابعا كل تفاصيله حتى يكاد ينتفض مع علو الموسيقى ويرتجف مع رعشتها ومع خروج بعض البشر من الأرض بأعين بيضاء خالية من التعبير وامتداد أيديهم وهم يمشون باهتزاز السكارى منتظرين الضحية التي سيقومون بعضِّها لتتحول إلى كائن معدوم الإحساس مثلهم.

«ضربة قاضية»..

يلتفت «إبراهيم» لزوجة عمه «ألفت» مكتظة كل شيء في فزع:

– انتي قلبتي ليه؟ ومصارعة؟

– مش أحسن من الغم اللي انت فاتحه.. يامّه.. إيه الأشكال دي؟ جتك الأرف.. قوم يا خويا ذاكر ولّا كلم سي دوله صاحبك ييجي يلعب معاك وسيبني ف حالي... بتبص لي كده ليه؟ مش عاجبك؟

ليطأطئ رأسه ويدخل غرفته ويغلق بابها وينزوي في ركن سريره مطفئًا الأنوار..

books-spring.com

لا يدري كم من الوقت قد مضى قبل أن يباغته دخول الضوء من الباب الذي فتحه عبد الرحمن غالي وهو يسأله: «انت نمت يا هيمه؟»..

كانت «ألفت» – زوجة عبد الرحمن غالي – قد استقبلته قبل قليل بالبكاء والصراخ مما فعل بها «إبراهيم»؛ حيث سردت له حكاية التليفزيون الذي أصر «إبراهيم» أن يشاهد فيه الأغاني والصخب ليمنعها من مشاهدة مسلسلها المفضل، وحينما كلمته بهدوء وطلبت منه أن يتناوبا المشاهدة صرخ فيها وعايرها بأن هذا منزله ومنزل أبيه..

ولم تنسَ طبعا إضافة أن الولد قد بلغ الثالثة عشرة وأن نظراته المتطفلة في تفاصيلها الفتانة قد أصبحت تزعجها وتصيبها بالقشعريرة.

لم يكن «عبد الرحمن» منصتا لما تقول وجل ما كان يشغله ما حدث فعلا؛ فهو يعلم جيدًا أن «إبراهيم» لن يحكي له شيئا مما

books-spring.com

دار، فكم من مرة يدخل المنزل متأخرا على موقف مشابه لتتمادى زوجته في الشكوى بينما لا ينبس «إبراهيم» بكلمة بل ولا يعير ما تقوله زوجة عمه اهتماما.

فتح «إبراهيم» عينيه بصعوبة ليرى شبح عمه الذي يخرج الضوء من حوله وابتسم ابتسامة واسعة..

فقد كان غارقا في التفكير فيما سيحدث في الفيلم الذي لم يكمله متصورا الأموات وهم يعودون إلى الحياة وينتقمون من مجتمعهم وقد كان ظهور عمه بين الضوء والظلام بهذا الشكل مكملا ما كان يتخيله تماما.

ظل «إبراهيم» محدقا في عمه مبتسما، بينما «عبد الرحمن» يتابع أسئلته عن يومه وماذا فعل، ثم ما لبثا أن ضحكا وتسامرا وخرجا من الغرفة ليتناول ثلاثتهم العشاء، حيث «إبراهيم» ما زال في سعادته الغريبة الناجمة عن تخيلاته للفيلم، بينما «ألفت» ممتعضة بشدة من عدم اهتمامهما بها.

books-spring.com

* * *

في قاعة المحاضرات بكلية الآداب، يقف المحاضر الشاب ذو الثلاثة والثلاثين عامًا.. يكاد يكون مهتما بأدق تفاصيل مظهره: حقيبة الـ«لاب توب» التي لا تتسخ مع البدلة الكاملة السينييه، مع القلم المون بلون، والساعة السويسرية، متعطرا بأفخم أنواع العطور الفرنسية.

وعلى الرغم مما يتميز به من ثقة بالنفس مبالغ فيها، يصح أن نصفها بالغرور، فإنه كان محط أنظار دارسي الفلسفة جميعًا بجنسيهما؛ فمحاضرات هذا المدرس المساعد تجتذب الجميع حتى ممن لا يحضرون المحاضرات أصلا بل وأحيانا من الأقسام الأخرى.

books-spring.com

إن استغراق «إبراهيم» في حبه للكشف عن موضوع بحثه قد جعله ذا قدرة فائقة على إيصال المعلومة بقوة وحماسة، بل وعاطفة كافية، لجعل من يسمعه مولعا به حتى ولو لم يفهم شيئا.

* * *

- بص يا «إبراهيم».. إذا كان موضوع البحث بتاعك ده هيوصلك لإثبات الكيان المادي دون الغيبيات.. فاعتبرني مجند لخدمتك لحد ما تخلص البحث.. إنما لو الهدف بقى عكس كده وعاوز تدخلنا في الخرافات إياها فتأكد يا ابني إنك مش هتاخد الدكتوراه طول ما أنا رئيس القسم.

هكذا كان رأي أستاذه «لينين».

books-spring.com

«لينين»، رئيس قسم الفلسفة في الكلية، الذي عاش أكثر من نصف حياته متنقلا بين الدول الأوروبية ومدرسا وأستاذا للفلسفة يجيد تدريسها بنصف اللغات الحية وربع اللغات الميتة.

وعلى الرغم من إلحاده الذي يعلنه على الملأ، فقد تحمس بعد فترة لمتابعة أبحاث الروح الخاصة بتلميذه النجيب «إبراهيم».

ولا عجب في ذلك؛ فـ«لينين»، منذ عام «إبراهيم» الأول في الكلية، وهو يتابعه ويراه خليفة له.. وجد «لينين» في «إبراهيم» مواصفات مثالية للطالب المجتهد متقد الذكاء الذي يتوغل داخل ما يدرس لدرجة تكاد تنسيه الكون من حوله بل وحتى متطلباته الأساسية من الأكل والشرب والنوم.

كما كان لشغف «إبراهيم» بموضوعه فضل في إقناع «لينين» أنه لا محالة سيكمله ولو وقف العالم بأسره ضده.

ولأن «لينين» أصلا لا ينوي الوقوف في طريق خليفته فقد كانت تكفي جملة «إبراهيم»:

books-spring.com

- يا دكتور، أنا مش داخل البحث على أساس إني أثبت نتيجة محددة.. لا الماديات ولا الغيبيات.. أنا داخل من غير تابوهات.. من غير أفكار أو قرارات مسبقة.. أنا هعمل بحث بجد.. يعني هبحث وبعدين أشوف النتايج.. وده اللي حضرتك فهمتهولنا في فلسفة البحث عموما.. وبنتشرف ونفخر إننا اتعلمناه على إيديك.

لجعل «لينين» يباركه ويمده بما يريد من مراجع وأمهات للكتب لتسهيل مهمته.

* * *

- الخيال.. من لا يتمتع بالخيال لا يستطيع حتى مجرد التفكير في أي شيء غير مادي وغير ملموس.. مش انت معايا في الكلام ده يا «إبراهيم»؟

books-spring.com

- لأ يا «عماد» مش معاك.. وبعدين لو سلمنا دماغنا للخيال من غير عقل وتفكير عمرنا ما هنوصل للحقيقة.

عماد حنا هو صديق «إبراهيم» المقرب إليه أو يكاد يكون الوحيد تخرج معه في الكلية وعمل في تدريس الفلسفة بمدرستهما الثانوية.

وعلى الرغم من وجود الكثير من نواحي الاتفاق بينهما فإن «عماد» شديد القلق من أبحاث «إبراهيم» المستميتة في عالم الروح.. يعلم أن «إبراهيم» مع تمسكه بعقله وبأن كل ما هو ملموس حقيقي وصحيح بينما أي شيء غير ملموس ستثبت صحته إذا ما صار ملموسا سينتهي به الحال إلى الإلحاد كأستاذه.

كما أن «عماد» يتمتع بالكثير من الهواجس وما زال لا يستطيع النوم في الظلام التام على الرغم من سنِّه هذه.

- يا «إبراهيم» لو حسبنا كل حاجة بالعقل والحسابات المنطقية هنقف عاجزين قدام أمور كتيرة قوي.. عارف يا «إبراهيم» إن فيه ناس بترتاح لها كده من أول نظرة وناس ما بتطيقهاش برضه كده

books-spring.com

من غير أي سبب، دي أبسط حاجة، ناهيك بقى عن كل الحاجات اللي بتخوف وما نعرفلهاش أصل ولا عمرنا شفناها بعنينا.

- يا عمدة انت سطحي بزيادة ولا كأنك درست أي حاجة، وحتى المثل اللي انت مش عارف تضربه ده له تفسير علمي وله علاقة بالكيميا اللي جوه الجسم والمخ.. مشكلتك يا «عماد» إنك متأكد إن أنا عاوز أثبت إن مفيش غيبيات مع إن العكس هو الصحيح، أنا عاوز أبحث لحد ما أوصل، والبداية عندي جاية بالإنكار إنما أنا مش معتنق الفكرة وماشي وراها.

- يمكن يا «إبراهيم».. يلّا، أنا رايح الكنيسة وانت بقى يا ريت تبقى تصلي الجمعة.. ربنا يهديك.

* * *

books-spring.com

مع آيات القرآن الكريم المنبعثة من المذياع المتوسط للبوفيه في غرفة الطعام، يخطو الحاج علي عبد الظاهر تجاه باب الشقة العالي ذي الشراعة الطويلة مرتديا جلبابه ناصع البياض ليسمع صوت الحاجة «هدية» يأتيه من المطبخ:

– ما تنساش تجيب سلطة وطرشي وانت جاي من الصلاة يا حاج، السمك بيحب السلطة والمخلل، وما تنساش «الأهرام» كمان.

– أنا مش فاهم انتي متابعة «الأهرام» ليه لحد دلوقتي؟ بتدوري على وظيفة؟ ههههه.. وحتى من بعد عبد الوهاب مطاوع، الله يرحمه، والبريد لا له طعم ولا معنى.

تتدخل «هدى» – ابنتهما الوحيدة – في الموضوع:

– والله يا بابا معاك حق.. الله يرحمه كانت ثقافته غير عادية.. أمثال وحكم وآراء فلاسفة وعلماء نفس وآيات وأحاديث وخبرة في الحياة كانت بتدي البريد متعة جبارة.

books-spring.com

هدى علي عبد الظاهر، ذات التسعة عشر عاما، متفتحة متفجرة الشغف بالحياة.. تحبها بكل ذرة في قلبها وعقلها، تريد أن تأخذ منها كل المتعة الممكنة.

فتاة محجبة شديدة الولع بالعلم الديني، والمتعة التي تبتغيها في الحياة هي متعة الحياة نفسها؛ فهي ترى الورود والزهور متعة وأشواكها متعة، لوحات جمال الطبيعة متعة واللوحات التجريدية متعة والسعادة متعة والألم والحزن متعة، قراءة القرآن متعة وقراءة القصص العاطفية وما يداعب المشاعر والأحاسيس متعة، قراءة الفلسفة وعلم النفس ودراستهما متعة المتع، مشاهدة الأفلام الرومانسية متعة ومشاهدة أي أفلام متعة، حتى أفلام الأساطير والوحوش والزومبي.. «هدى» يستغرقها أي شيء فتغوص في أعماقه بكل خلجاتها ولا تنفصل عنه إلا لشيء آخر يستغرقها لتغوص فيه.. تحب الحب وتقدر مشاعر الحقد والكراهية والحرمان.

books-spring.com

* * *

- هوَّ أصلا نص كلامه مش مفهوم ومش عارف يحدد أو يجزم بأي شيء يا «آية».

- بس يا «هدى» يخرب بيت شياكته وأناقته وجماله.. الواد يهبل، يهبل.

- يا بت يا هايفة، ده المفروض بيشرح لنا فلسفة وعمال يشطح يمين وشمال وبنخرج من المحاضرة مش واخدين معلومة واحدة كاملة كده على بعضها.. انتي عارفة أنا بحب الفلسفة أد إيه وعارفة إن أنا تقريبا أكتر واحدة بتركز وتكتب في المحاضرات، بس ده بالذات بعد ما بكون مركزة معاه لحد إن لو كلب عضني مش هاخد بالي بيخليني فجأة أفصل، وفي الآخر لما بروح بعاني علشان أبيَّض اللي بيقوله.

books-spring.com

- مش مهم كل ده.. هوَّ يجنن، ولو ع المذاكرة والامتحان أستاذ فتح الله بيقوم بالواجب.

- بس يا «آية» أهو شرف الباشا معشوق الهُبل الهايفين اللي زيك.. بطلي كلام بقى عشان نركز.

ترمق «آية» صاحبتها «هدى» بنظرة استغراب بينما يخيم على المدرج صمت مطبق مع أعين متابعة لكل تفاصيل «إبراهيم» وهو يوصل الـ«لاب توب» بالـ«داتا شو» وشغف الجميع للاستماع لأساطيره المبهمة وحكاياته غير الكاملة.

تمتد المحاضرة لساعتين لا يبذل فيهما «إبراهيم» أي مجهود لينهر طالبا يتحدث أو يطلب من أحد التركيز؛ فالكل في حالة من التركيز، من يفهم ومن لا يفهم، من استغرقه التركيز فيما يقول ومن استغرقه التركيز في أحلام اليقظة لتمني أن يصبح مثله في النجاح والثراء والسيارة التي لا يوجد مثلها ومن استغرقها التركيز في فتى الأحلام الذي تتجلى كل سماته في «إبراهيم».

books-spring.com

* * *

يخرج الطلبة من المحاضرة وقد كتبوا جميعًا ما أملاه عليهم حرفًا حرفا؛ فهم لا يستطيعون أن يتجاهلوا شيئا مما يمليه عليهم، فقد كان ذلك كفيلا أن يرسبوا أو تقل تقديراتهم لأبعد حد إذا لم يلتزموا بالكتابة والإملاء، وقد كان الأستاذ يتفحصهم جميعًا في بداية كل محاضرة ليباغت أحدهم بنظرة في عينيه مباشرة قائلا:

– انت ما جيتش المحاضرة اللي فاتت ليه؟

وكانت هذه الجملة كفيلة لتضع الطالب في موقف مبهم من اللعثمة والتأتأة وهو لا يدري ما القرار الذي سيُتَّخذ ضده.

غير أن هذا الموقف لم يكن الأصعب؛ حيث كان الموقف الأكثر صعوبة حينما يوجِّه عبد الرحمن غالي سؤاله بطريقة أخرى طالبا

books-spring.com

من الطالب أن يفتح مذكراته ويخبره عن آخر جملة قد انتهى عندها في المحاضرة السابقة.

فعلى الرغم من أن عبد الرحمن غالي في بيته ومع جيرانه وزملائه يعد من ألطف وأرق الأشخاص فإنه من أصعب الأساتذة بكلية أصول الدين الأزهرية وله أسلوب شديد الفظاظة شديد الملل في آنٍ واحد يبغى أن يحفظ الطلبة كل ما يقول عن ظهر قلب ويمتحنهم فيه كتابيا وشفهيا.

وعلى عكس ابن أخيه «إبراهيم» الذي كان الطلبة في كلية الآداب يلتفون حوله بعد كل محاضرة ويسألونه، سواء بهدف حقيقي أو فقط بهدف أن يتحدثوا معه كما يلتف المعجبون حول نجم سينمائي، كان طلبة عبد الرحمن غالي يختفون من المكان فور انتهاء المحاضرة ويتحاشون عند خروجهم منها مجرد النظر إليه.

* * *

books-spring.com

- وصلت لفين يا «إبراهيم»؟

- أنا لسه في منهج البحث وهيمشي إزاي يا دكتور لينين.. بس تقدر تقول سعادتك إني حطيت إيدي على أول الطريق.

- اللي هوَّ إيه يا دكتور؟

- دكتور؟! يا سلام.. مش بدري شوية عليَّ؟

- أبدا.. ده وقتها.. بعد شوية هقول لك يا أستاذ.. كمل بس اللي كنت بتقوله.. أول الطريق..

- البحث هيبقى دراسة مقارنة عن مفهوم الروح أولا في الديانات وبعد كده في المناهج الفلسفية والعلم المادي وتاريخ المعتقد عند قدماء الحضارات السالفة ومراجعة نواحي الاتفاق والاختلاف بين كل ده، ولو وُجد اتفاق تام في نقاط محددة ممكن يبقى هوَّ ده النتيجة الحتمية؛ لأن لو كل دول اتفقوا ولو على حاجة واحدة تبقى أكيد هيَّ الحقيقة المطلقة.

books-spring.com

- بداية كويسة، بس يا ريت ما تحطش احتمال للنتيجة بالشكل ده.. دورك إنك انت اللي تفكر وتقرر الشكل النهائي للمعلومات اللي هتطلع بيها في نهاية البحث وما تسلِّمش من البداية إن نواحي الاتفاق هيَّ اللي هتكون النتيجة.. أبدا.. ممكن اتجاه واحد ورأي واحد في النهاية هوَّ اللي تعتنقه وتدلل عليه ويبقى خلاصة بحثك، حتى لو ما كانش عليه إجماع أو اتفاق.. مفيش انتخابات ولا ديمقراطية في البحث العلمي.. انت لوحدك اللي بتقرر.. الديكتاتورية هنا مش اختيار.

- يعني حضرتك شايف إن التفكير بالطريقة دي غلط؟

- لأ.. بس متأكد إنك حتى لو بدأت كده.. هتيجي لحظة الوصول لـ«**final conclusion**» مختلفة وانت نفسك هتلاقيك ميَّال لفرض نظرية محددة ممكن تكون مختلفة تماما عن كل اللي اتقال قبل كده.

books-spring.com

وكالعادة يظل «إبراهيم» مفتونا بأستاذه مقتنعا أن ما يقوله في الغالب هو الصواب؛ فبعيدا عن قناعته بالمعتقدات الخاصة بالدين لدى «لينين»، يرى «إبراهيم» أن «لينين» شخص مفكر اتخذ قرارا صادما للجميع دون أن يأبه بالكل، وهو في ذلك يراه نموذجا لما يجب أن يكون عليه الإنسان بشكل مجرد، بمعنى أن المؤمن بدينه أو معتقده، أيا ما كان، يجب أن يكون مؤمنا بالفعل، والملحد يجب أن يكون ملحدا بالفعل، أي أن كل معتقد يخضع لقرار ولا يأتي صدفة أو من خلال النشأة والبيئة.

* * *

- واضح إنه مش عاجبك خالص.

- طبعا مش عاجبني خالص يا ست «آية»، وفيه في كلامه على الدوام نزعة لحرية فكرية غير منضبطة.

books-spring.com

- على الدوام!! نزعة!! ومش منضبطة!! صلاة النبي أحسن.. يا «هدى» كلميني بالهجايص الله يكرمك.. وبعدين هيَّ فيه مُزة زي القمر كده ما تبطلش كلام عن واحد غير لو كان شاغلها ومحرك الحتة اللي جوة بالجامد قوي؟ ههه.. تشربي نسكافيه؟

- لأ.. أشرب عصير فريش.

- عصير خروب خريش.

* * *

الروح.. النفس.. العقل.. الجسد..

كتبها هكذا كحالة على الـ«فيس بوك» منتظرا التعليقات التي ما لبثت أن تجاوزت الـ«كيلو تعليق» والـ«كيلو إعجاب» خلال يومين.

نظر «إبراهيم» إلى «الكومنتات» و«اللايكات» مبتسما؛ حيث كما توقع تماما جاءت معظم التعليقات من طالبات وفتيات حوَّلن كلماته

books-spring.com

العميقة إلى قصص في الحب والغرام والولع.. إلا تعليقات القليلين الذين أعطوا أو حاولوا إعطاء الموضوع بُعدا فلسفيا حقيقيا، وعلى رأسهم «عماد»، الذي لم ييأس من تكرار أن العلاقة بين هذه المفردات من الطلاسم التي لا حل لها.

كان «إبراهيم» يتمنى أن يجد بين متابعيه من هو مهتم بالفعل.. من له القدرة على إثراء حوار جاد حول قضيته المعقدة.. على الرغم من كونه واثقا مع كتابة هذه الكلمات أن وجود هذا الآخر نادر.

* * *

يبدأ «إبراهيم» بحثه بكتابة بعض العبارات عن الروح في الأديان كهامش سوف يرجع إليه؛ حيث إنه يعتقد أن الروح في الأديان متشابهة، كما أن الفلاسفة والعلمانيين والوجوديين ليس لهم منهج نقلي عن الروح، وإنما مناهجهم مستنبطة عقليا، فأراد أن يبدأ بحثه

books-spring.com

بالفلاسفة والحضارات القديمة ثم يعود مرة أخرى مستغلا هذه الهوامش لدراسة الروح في الأديان السماوية كاتبا: الروح في الإسلام (الروح التي تلتقي الجسد في الشهر الرابع للجنين ولا تفارقه إلا عند الوفاة، وعلاقة النفس بالروح بالجسد بالإيمان بالشيطان والجنة والنار والبرزخ).. الروح في المسيحية (الاستحالة المعرفية والسبات والانتظار حتى الحساب والملكوت).. في اليهودية (الروح السفلى والعليا والوسطية المنفوخة في الأنف عند الخلق واهبة التنفس).

* * *

لحظة انتهاء المحاضرة ومع مغادرة «إبراهيم» القاعة وهرولة الطالبات وبعض الطلبة حوله، تأخرت «هدى» قليلا في لمِّ أشيائها؛ حيث إنها بعد أن جمعت دفاترها وأقلامها بدأت تبحث عن هاتفها المحمول داخل حقيبتها الممتلئة ولم تفلح في الوصول إليه، حتى

books-spring.com

إنها أفرغتها بالكامل ولم تجده.. فنظرت تحت «البنش» لتجده مستقرًّا على الدرجة الأسفل منها فتناولته ببعض المعاناة ثم أعادت حقيبتها إلى حالتها المنظمة جدًّا، حتى إنه لا أحد قادر على إيجاد أي شيء داخلها ولا هي نفسها.

نظرت حولها لتجد القاعة خالية.. حتى «آية» قد هرولت خلف «إبراهيم» لتسأله سؤالا عميقا حول ما إذا كان الاسم المعرف يمكن أن يكون مفهومه متساويا مع ماصدقاته، وهو السؤال الذي ظلت ليومين مشغولة في إعداده بينما لا تنتظر إجابة عنه على الإطلاق.

نزلت «هدى» المدرج لتلاحظ دفترا كبير الحجم يبدو عليه القدم يرقد بسلام بجوار منصة الشرح.

لم تتردد للحظة في تناوله ودسه داخل حقيبتها، خاصة بعد أن لاحظت الاسم المنمق المكتوب عليه «إبراهيم غالي».

* * *

books-spring.com

- اوعى يا «إبراهيم» الموضوع بتاعك ده تقدمه بطريقة تتعارض مع ثوابت الدين والإيمان يا ابني.

- يا شيخ «عبد الرحمن» ما تقلقش، ربنا - سبحانه وتعالى - بيدعونا للتفكر والتدبر والعلم، والرسول - عليه الصلاة والسلام - أكد ده، وانت اللي ربيتني على كده.. إن شاء الله مش هعمل حاجة شاطحة ولا حاجة.

- يا رب تصدق.. انت مسئول ومشكلتك مش بس إنك ممكن تشط، انت كمان ممكن تخلي غيرك يمشي وراك فتبوء بإثمك وإثمهم إلى يوم الدين.

- سبحان الله، كلامك شبه كلام «عماد».

- المسيحي؟

books-spring.com

- آه.. تخيل.. أستاذ في الفقه الإسلامي ومدرس فلسفة مسيحي.. الاتنين متفقين على إني ممكن أشطح وألحد وأكفَر وأكفَّر الناس من ورايا.. حاجة عجيبة والله.

- أنا خايف عليك يا «هيمه».. انت ابني اللي أنا طلعت بيه من الدنيا.

- ما تقلقش يا حجوج.. أخبار الطلبة عندك إيه؟

- جزم.. الواحد بيطلع عينه في الشرح.. ده أنا بمليهم المحاضرة إملا، وفي الآخر بيطلعوا بهايم.

- مش جايز لو ما ملتهالهمش يفلحوا؟

- نعم؟ ناقصة فذلكتك هيَّ؟ همَّ عارفين يفهموا حاجة وانا باديلهم المعلومات على طبق من دهب؟ أنا لو عملت زيك وخليتهم يبحثوا ويستنبطوا وكده.. قول عليهم يا رحمان يا رحيييم.

- ماشي يا شيخ عبرحمان ياخو عبرحيييم.

- انت بتتريق عليَّ؟ قوم ياد يا دكتور اعملنا شاي.. اجري.

books-spring.com

* * *

تفاجأت «هدى» وهي جالسة على مكتبها بغرفة نومها بمن يغلق الدفتر أمامها وينظر إليه وإليها قائلا:

- عيب كده على فكرة.

- ياه يا حاج.. فصلتني آخر حاجة.. ده أنا لسة ما قريتش ولا كلمة، وبعدين هوَّ اللي إدا...

يقاطعها علي عبد الظاهر:

- انتي هتكدبي كمان؟ هوَّ اللي إيه؟ انتي صحيح ما بتبطليش كلام عنه كأن مفيش أساتذة تانيين في الكلية.. بس كمان انتي عمرك ما اتكلمتي معاه.. أظن يعني عيب عليكي إنك تتخيلي إني هصدق إنه إدالك مذكراته وقال لك تقريها.. رجعي يا حبيبتي الكلام ده

books-spring.com

لصاحبه.. ما يصحش تقري حاجة من غير إذن صاحبها.. وحرام كمان.. دي أسرار ما تخصش غير اللي كاتبها.

تتلعثم «هدى» وتعلو حمرة الخجل وجهها وتجمع كلماتها بعد مجهود:

- ماشي يا بابا.. آآآآ.. معاك حق.. يعني هوَّ... هاقفله خلاص.

- فعلا مش هتكملي قراية.. ولّا آخد المفكرة دي معايا وأوديهاله بنفسي؟

- عيب يا حاج، ده أنا تربيتك.

خرج «علي» من غرفة ابنته التي وضعت المفكرة مغلقة بجانبها لمدة تجاوزت ثلاث ثوانٍ قبل أن تفتحها مرة أخرى محدثة نفسها:

- تربية ناقصة.

وتبدأ في القراءة:

- «وُلدت يتيمًا»..

- من أولها غم كده يا عم «إبراهيم»؟ ماشي يا سيدي، وبعدين؟

- «لا أدري هل لليتم مرارة كما يقولون.. فأنا لم أرَ أمي ولم أحنق يوما على ذلك ولا أنعى حظي أو أنظر لنفسي يوما كما لو كنت ناقصا.. صحيح أنني كنت أحيانا أنظر لأحضان الأمهات لأبنائهن عند خروجي من المدرسة وأتساءل عن هذا الشعور وأتمناه، إلا أنني كنت ألحظ ما يلي هذا الحضن.. عادة بعض التعنيف من الأم أو الضجر من الابن الذي يطلب منها أشياء ترفض هي في الغالب شراءها له فيبكي ويتذمر فتنهره.. فقد تساوت عندي منذ صغري مميزات وعيوب الأم، أو هكذا أردت أن أقنع نفسي.. حتى مع حكايات أبي وعمي فيما بعدُ عن رقة أمي وحنانها وهذه الصورة المعلقة على الحائط لشابة جميلة بابتسامة عذبة وحكايات أبيها (جدي) الذي فارق الحياة وأنا في الخامسة ولا أكاد أذكر سوى حكايته عن أمي الحنون الجميلة التي تنتظر أن تراني كبيرا وناجحا.. لم أتصورها أبدا.

books-spring.com

والعجيب أن قصة صداقتي لـ(عماد)، ونحن في أول يوم من الدراسة الثانوية، قد بدأت بشجار وشتيمة للأم؛ حيث تشاجرنا على الجلوس في المقعد المتوسط للصف الأول في الفصل، فباغتني «عماد» بالشتيمة قائلا:

- (أنا اللي جيت الأول يا روح أمك).

ولكن ردي عليه يبدو أنه قد باغته أكثر؛ حيث تخلى من فوره عن عناده واحتضنني وترك لي المقعد..

وكان ردي ببساطة:

- تصدق ممكن!

- ممكن إيه؟

- ممكن أكون روح أمي فعلا.

- إيه؟

- أصلها ماتت وهيَّ بتولدني.. يعني أنا وروحها خرجنا سوا.. ممكن فعلا أكون أنا روح أمي.

كانت هذه الكلمات كفيلة لينقلب (عماد) من شراسته إلى وداعته مائة وثمانين درجة بشكل فاجأني؛ إذ يبدو أنني قد اكتسبت تعاطفه على الرغم من أني لم أقصد ذلك على الإطلاق، وإنما بالفعل استوقفتني الشتيمة وأخذتني لهذا المعنى»..

تترك «هدى» المفكرة وقد ترقرقت في عينها دمعة، متصورةً هذا النموذج الذي يسعى الطلبة للفت انتباهه وكيف أنه لم يحظَ يوما بحضن أمه.

وتبدأ في التحدث لنفسها حول أن والدها معه حق ويجب عليها فورا عدم الاستمرار في القراءة وإغلاق المذكرات وإعادتها غدا لصاحبها.. ولم يطُل ترددها طويلا؛ حيث فتحت الدفتر متابعة القراءة:

- «ولكني أحسست بالفجيعة الحقيقية عند وفاة أبي وأنا بعدُ لم أكمل التاسعة من عمري»..

- لا حول ولا قوة إلا بالله.. أبوك كمان مات؟! لا إله إلا الله.

- «وكأن القدر قد اختار أن أكون وحدي.. وكانت الحادثة التي توفي فيها أبي سببا دائما للتساؤل الذي كان وما زال يتربع على عرش رأسي شاغلا نفسي عن أي شيء إلا عن إجابته: لماذا ترك حارس بوابة السماء روح أبي تمرق إلى أعلى ورفض روح عمي لتعود؟ ولماذا لم يأخذ روحي معه وقد كان ثلاثتنا في الحادث نفسه؟ وهل كانت روحانا ملتقيتين في أثناء غيبوبتي أم كان كل منا في طريقه المحتوم له غير ناظرٍ لسواه؟»..

تنتهي الصفحة ليترك خلفها «إبراهيم» صفحة بيضاء دون كتابة.. فهمت «هدى» - بعد ذلك - أنه يتركها بين ما يكتب عندما يتوقف عن الكتابة لفترة ويبدأ بعد ذلك في الكتابة في الصفحة التي تليها وكأنه يقسِّم كتاباته إلى فصول تفصلها هذه الصفحة البيضاء.

- «تربيت في بيت والدي، أو بالأحرى في بيت جدي، في كنف عمي الأستاذ الشيخ (عبد الرحمن)، ميسور الحال؛ فقد كانت لتجارة الأخشاب التي امتهنها جدي، ومن بعده أبي وعمي بجوار عمليهما،

books-spring.com

الفضل في الحياة الرغدة التي أعيشها حتى الآن، وكان – ولا يزال – عمي متفانيا في محاولة إسعادي وعدم حرماني وقد أفضى لي قريبا بسر أنه كان ينتوي أن يقسو عليَّ في فترة مراهقتي إلا أنني لم أعطِه الفرصة؛ حيث مرت هذه الفترة دون أن أنشغل بما يشغل أقراني من الهوس بالجنس أو إثبات الرجولة بالعلاقات والتدخين وانتهاج نهج خاص كإدمان الموسيقى الصاخبة (الميتال والهارد روك) أو حتى الانغلاق مع التزمت والمبالغة في الالتزام وغيرها من منغصات هذه المرحلة.. وبالفعل أنا لم يستهوِني في مراهقتي إلا القراءة ومشاهدة أفلام الرعب والخيال العلمي ورغبتي الحثيثة في إجابة الأسئلة القدرية التي لم أجد لها إجابة.. لم أعطِ عمي أبدا حقه في الشكر الواجب.. هذا الرجل الذي كرس حياته الشخصية لي.. حتى إني أعتقد.. لا، بل أعرف، أنه ترك زوجته وأنا في الخامسة عشرة من أجلي؛ حيث أعلم أنها كانت تتذمر من وجودي وترغب أن ينقلني إلى الدور العلوي بالمنزل حتى تستطيع أن (تاخد

books-spring.com

راحتها)، على حد تعبيرها، ولا أدري كيف (تاخد راحتها) أكثر مما كانت عليه إلا إذا كانت تقصد أن تضع مرطبا لبشرتها»..

صفحة بيضاء.

نامت «هدى» وفي يدها الدفتر مفتوحا ونور الغرفة مضاء وحمدت الله في الصباح حينما علمت أن أمها هي من دخلت بعد نومها فأغلقت النور ووضعت عليها الغطاء ووضعت الدفتر على المكتب؛ حيث لا تعلم «هدية» شيئا عن الدفتر وما يحويه.

* * *

- كشكول المذكرات ضاع.

- وإيه المشكلة يا «هيمه»؟ هوَّ انت عايز تفتكر إيه يعني؟

- لا ولا حاجة يا عمدة، بس أصل فيه كلام ما يسرش عن واحد صاحبنا.

- نعم؟ كاتب عني إيه بقى إن شاء الله؟

- كل حاجة.

- كل حاجة كل حاجة؟ يخرب بيتك.

يضحك «إبراهيم» بشدة ويشير لـ«عماد» علامة أنه أوقعه وضحك عليه ليتنفس «عماد» الصعداء، معربا عن أن ما يعلمه «إبراهيم» عنه لا يعلمه سواه، وأن كل ما فعل في فترة الثانوي وبدايات الجامعة وما بعدها قد صار ماضيا، وقد اعتدل بعد ذلك والتزم الأدب والحياء واعترف في الكنيسة بكل شيء وغُفر له.

- الكشكول فيه كلام عنك فعلا، بس كلام كويس على فكرة.. إنما المشكلة إن أدق تفاصيل مشاعري وأحاسيسي مكتوبة ومش عارف ممكن يكون وقع في إيد مين.

- هوَّ مش اسمك مكتوب؟

- اسمي والإيميل والموبايل كمان.

- خلاص يا سيدنا.. اللي هيلاقيه هيجيبهولك أكيد.

books-spring.com

- يا ريت بس ما يكونش قراه.. أنا شاب ليَّ «الفانز» بتوعي، وما يصحش حد يعرف عني الحاجات دي.

- آه، ويا سلام بقى لو نزلهالك ع الفيس وعمل لك فضايح.. ههههه..

- لأ الله يكرمك إلا دي.. هوَّ معاك ياض؟

- لا والله يا «هيمه».. والمسيح الحي ما شفته.

وجدت «هدى» الوقت مناسبا.. يوم السبت والحاج علي في عمله والمحاضرات غير ذات قيمة و«إبراهيم» ليس له محاضرات اليوم:

- فرصتي بقى أطنش الكلية النهارده وأكمل حكايتك يا عم «إبراهيم».. على الله ما حدش تاني يموت.. أنا حاسة إن في الآخر هلاقيك كاتب: ثم مات المشاهدون جميعا.

- «مرت طفولتي وصباي دون مشاكل، وقد وفر لي فيها الشيخ (عبد الرحمن) كل ما أطلب، من كتب وشرائط فيديو وسيديهات فيما بعد، والعجيب أني خلال المرحلة الابتدائية لم أكن مولعا بما

books-spring.com

يشد أصحابي من أفلام الكرتون والفوازير وغيرها؛ فبجانب القراءة وأفلام الرعب كنت تقريبا أشاهد ما لا يشاهدون؛ حيث تعلقت جدًّا بكرتون (لولو الصغيرة) الذي كان يُعرض على القناة الثالثة وأنا في بداية المرحلة الابتدائية، ومن بعده كرتون (سانديبال)، تلك الفتاة الرقيقة المحبة للخير، وهما كرتونان لم أعرف أحدا شاهدهما غيري؛ فقد كان الأطفال يرددون معا: (افتح يا مازنجر أنا معك)، وغيرها.. بينما أشدو أنا بمقدمة (لولو الصغيرة لولو حلقاتها مثيرة لولو) ولا أحد يدري عمَّا أتحدث»..

صفحة بيضاء.

– أنا ما اعرفش لولو دي فعلا، بس عارفة سانديبال وكنت بحبها قوي.

– «في أول يوم من عطلة نهاية العام الفاصل بين السنتين الثالثة والرابعة في الكلية، كنت قد أيقنت أن مستقبلي قد تحدد بالتعيين في

books-spring.com

الجامعة، فمن خلال تقديراتي في الأعوام السابقة بات التعيين سهلا، وهو الخطوة التالية بالتأكيد.

لكني كنت منشغلا بشيء مهم بالنسبة لي جدًّا، وهذه القصة لا يعرفها عني أحد في الدنيا، وهي من أسراري التي أعتقد أنها ستُدفن معي..».

- آآآه.. وبعدين يا بت يا «هدى»!! هتكملي ولّا إيه؟ بيقول سر وعاوزه يتدفن معاه.. طب ما أنا مش هقول لحد خاااااالص..

لتكمل القراءة:

- «نويت أن أقترب من الطبقة الكادحة لأفهمها وأعلم كيف يعيشون وكيف يفكرون، فأنا والحمد لله قد ترك لي أبي إرثا قام عمي بوضع أمواله السائلة في وديعة تجاوزت الستة أصفار منذ أكثر من خمسة عشر عاما.. أصرف من ريعها ما أصرف ويتحول الباقي لحساب توفير.. فلم أشعر يوما بالحرمان المادي ولم يشعرني عمي يوما أنه ذو فضل من هذه الناحية.. وأخبرت الشيخ (عبد الرحمن) أنني

books-spring.com

سوف أعمل في إجازة الصيف، فتهللت أساريره وقرر على الفور أن أعمل في تجارة الخشب وأن ألمَّ بأمور التجارة والميناء والموردين والعملاء والمصنع الضخم... ولكنني صدمته بأني لا أريد أي شيء من ذلك، ولكني أريد أن يتركني ولا يسألني حتى عن مكان عملي.. ناقشني قليلا ثم أثنى عليَّ معربا عن ثقته في اختياراتي، فتوجهت من فوري إلى بنزينة تبعد عن البيت عدة شوارع كانت دائما مكتظة بالسيارات وكنت دائما لا أقف فيها بسيارتي تلافيا للزحام.. اعتقدت أن هذه البنزينة هي الأنسب لأتعامل مع هذه الطبقة الكادحة، ولم تكن نواياي خالصة تماما؛ إذ اعتقدت في الأساس أنني لكي أصبح فيلسوفا ناجحا لا بد لي من تجارب، وكانت هذه تجربتي الأولى التي باءت بما لم أتوقع يوما»..

ازدادت حماسة «هدى» للإكمال وحدثت نفسها أن القادم مثير ولا بد له من كوب عصير «خروب خريش»، كما تقول «آية» باستمرار، فتوجهت للمطبخ وصنعت كوب نسكافيه هذه المرة،

books-spring.com

متخلية عن عصيرها، متوقعة أن النسكافيه هو المناسب للحدث القادم.. حملت الكوب عائدة لغرفتها فباغتها صوت «هدية»:

- هوَّ انتي مش رايحة الكلية النهارده يا «هدى»؟

- لأ يا ماما، النهارده يوم فاكس هقعد أذاكر هنا.

- غريبة.. دي أول مرة تعمليها!

لم تهتم أن ترد على أمها ودخلت مسرعة إلى غرفتها وأغلقت بابها وجلست لترتشف أول رشفة من النسكافيه الساخن مع متابعتها لخط «إبراهيم» المنمق وهو يتابع سرده لقصة البنزينة:

- «صاحب البنزينة، المهندس عطا، رجل بدين لم تمنعه بدانته من التأنق أبدا.. في الأساس مهندس زراعي كوالدي، رحمه الله، ولكنه لا يعمل عملا آخر إلا إدارة البنزينة، وعلى الرغم من أني علمت من زملائي أنه لا يُطاق وأنه لا يعطيهم إلا القليل ويعتمدون على البقشيش في دخولهم فإني لم ألحظ ذلك في بداية معرفتي به ولا

حتى بعد ذلك؛ حيث إنني حينما توجهت إليه لطلب العمل تبسم لي قائلا:

- انت شكلك ابن ناس.. جاي تشتغل عامل في بنزينة ليه؟

ارتبكت قليلا؛ حيث إني قد اعتقدت أن ما اخترت من ملابس وما تصنَّعته في هيئتي سيكونان كفيلين بأن أبدو معدما.. لكنه سرعان ما أعطاني الحل بنفسه حين قال:

- انت أكيد طالب جامعي من الأرياف وعاوز تشتغل في الصيف علشان مصاريف الدراسة.

فأكدت له ذلك.. وحين طلب بطاقتي نظر للمهنة فوجدني طالبا فتوافق الحديث وأعطاني المهنة المطلوبة.. وحمدت الله أن ما كان مهتما بالنظر إليه هو المهنة؛ حيث لو اهتم بالاسم فقط لعرف من أنا؛ فـ(عبد الرحيم وعبد الرحمن غالي) من أقطاب تجارة الأخشاب في مصر.

books-spring.com

وياللبؤس والشقاء.. إنهم يكدحون ويعملون ليل نهار في سبيل بضعة جنيهات يتقاسمونها آخر اليوم، ورئيسي في العمل، عم عليوة، لا يقل بؤسا عن الآخرين وتبدو عليه الصرامة الشديدة.. ويرى زملائي أنه (مفتري) مثل صاحب البنزينة.. أما أنا فأراه بائسا مسكينا؛ فهو أب لشباب من عمري ودخله الشهري بجانب البقشيش قليل جدًّا لا يكاد يغطي احتياجاته، وهو في الوقت نفسه نظيف اليد يراعي ربه في أمواله وأموال (الباشمهندز أطا) كما يسميه.. وقد كان وقع عملي في حد ذاته سيئا على زملائي؛ إذ ظهر لي واضحا من أول يوم أنني قد أتيت لأقاسمهم رزقهم القليل.. لكني، وبعد أيام قليلة، أصبحت الأكثر شعبية لديهم جميعًا ومخزن أسرارهم، وقد لاحظوا أن دخل البنزينة من البقشيش قد زاد كثيرًا منذ قدومي، وهذه حقيقة؛ إذ لاحظت أنني الأوفر حظا في البقشيش من غيري وأن من يعطي غيري نصف جنيه يعطيني أنا ثلاثة أو أربعة أو خمسة جنيهات، وبالتالي زاد المخزون في صندوق البقشيش الكبير

books-spring.com

صفيحي البناء.. وهناك سر آخر؛ أنني وبعد اقتسام البقشيش يوميا كنت آتي في صباح اليوم التالي ونحن نمسح وننظف البنزينة فأضع ما أعطوه لي بالأمس في الصندوق مرة أخرى حتى لا أقلل من دخل أحد.. وبعد ستة أسابيع قرر (عم عليوة)، بعد ملاحظته لما يختصني به الزبائن دون غيري، أن يدرس حالتي داخل البنزينة، وقام بذلك بأسلوب أعجبني للغاية وتعجبت منه أيضا؛ حيث دأب على متابعة ما أختلف فيه عن زملائي ليفاجئ الجميع – بعد ذلك بأسبوع – بخطة لتطوير العاملين في البنزينة ليكونوا كلهم مثلي، فعقد ما يشبه الاجتماع خلف البنزينة، حيث منطقة غسيل السيارات ودعا (الباشمهندز أطا) وبدأ يشرح أنه من خلال ملاحظته للعاملين – دون ذكر أسماء – ومن خلال خبرته الطويلة قد لاحظ أن عامل البنزينة يجب أن يكون نظيفا.. مبادرا.. مبتسما.. لا يكل ولا يمل ولا تؤثر عليه الظروف الخارجية داخل العمل. وأضاف أنه ابتكر صيغة كلامية يجب علينا جميعًا الالتزام بمفرداتها مع الصفات

books-spring.com

السابقة عند التعامل مع زبون البنزينة للحصول على أعلى عائد..

ولم تكن هذه الصيغة إلا مفرداتي التي أستعملها في الترحيب بالزبائن والثناء على أذواقهم في سياراتهم وألوانها وشياكتهم وأناقتهم ومداعبة أطفالهم وغيرها من المجاملات..

وبالفعل، التزم الكثير من الزملاء وباتت البنزينة مضربا للمثل وازدادت اكتظاظا وازدادت بقشيشا.

وعلى الرغم من الكثير من الحكاوي والخبرات التي استقيتها من خلال أصدقائي وزملائي في البنزينة، والتي من الممكن أن أملأ بها كتابا، فقد كانت حكاية كل واحد منهم تكفي لتصبح قصة في كتاب، وقد نويت أن أكتبها فعلا، ولكن في مذكرات أخرى سميتها (أيام البنزينة) وكتبتها بالعامية وسأطبعها في كتاب في يوم من الأيام باعتبارها قصة من تأليفي.. أما السر الخفي والحقيقة المؤلمة اللذان خرجت بهما من تجربة الشهور الأربعة الكادحة فهما ما يلي..».

books-spring.com

- يا «هدى» قومي حضري معايا الغدا طالما قاعدة.. كل دي مذاكرة؟ ده احنا لسة في أول السنة!

- مش وقتك خالص يا «هدية».

- بتقولي حاجة يا «هدى»؟

- أيوه يا ماما، بقول إن فيه بحث مطلوب المفروض أسلمه بعد يومين، وفرصة النهارده أنجزه.. معلش بقى ربنا يخليكي.. فيكي ألف بركة يا هدهودة يا أم هدهودة..

ثم أردفت محدثة نفسها:

- سيبيني أكمل حكاية «انتوا يا بتوع البنزينة».

«ماسة.. اسمها ماسة.. فتاة جميلة تدرس بالجامعة الأمريكية وتذهب يوميا إلى الجامعة، على الرغم من أننا في العطلة الصيفية؛ حيث تجلس في مكتبة الجامعة وتتابع أبحاثا وندوات وحفلات ينظمونها خلال فترة الصيف.. تمر يوميا صباحا على البنزينة؛ حيث إنها تسكن بالجوار لتملأ التانك وتمضي.. لا أدري كيف

books-spring.com

امتلكت لُبِّي هكذا ولماذا أصبحت مولعا بتفاصيلها إلى هذه الدرجة.. أحب قدوم سيارتها.. وأعشق يوم غسيل السيارة؛ حيث تمضي وقتا أطول داخل المكان.. يحبها الجميع وينتظرها الجميع.. تتعامل مع العاملين جميعًا بمنطق الآدمية فتغدق عليهم دون منَّة وتتقبل دعاباتهم وتبادلهم إياها.. شقية ذات لمعة عين غير طبيعية متقدة بالحيوية والذكاء، وأعلم جيدًا أنها لاحظت أني مولع بها من نظراتها وحركاتها التي أعرف أن بعضها كان موجها لي بغير أن تلتفت.. وعلى الرغم من ملابسها المتحررة وشعرها دائم (النيو لوك)، وعلى الرغم من سماعي لزملائي يعلقون على فتيات كثيرات يمررن بالمكان، واصفين إياهن بألفاظ نابية، ومنهن الملتزمات في اللبس والحركة، فإن الجميع كانوا يوقرونها ولا يذكرونها إلا بالخير.. يبدو أن ما بداخل الإنسان هو شيء مشع يعلمه الآخرون دون النظر لهيئته؛ إذ كيف يصفون هذا النموذج المتحرر جدًّا بالاحترام ولا يظنون به السوء ويصفون نماذج أخرى تبدو في غاية الالتزام

books-spring.com

بالعهر، وفي الغالب يصدقون؟! هي فعلا كانت تشع بهجة وانطلاقا، ولم أجد هذا الهيام الذي أصبت به تجاهها في أحد من قبلُ، لا من زميلات الكلية ولا من صاحبات (عماد) اللائي خرجن معنا في العطلات السابقة ولا في الجارات ولا في أحد.. كان حديثي معها قليلا ومعلوماتي عنها استقيتها كلها تقريبا ممن حولي ومن الباشمهندس الذي لاحظ شغفي بها ونصحني بأن أفكر فيمن تليق بي وأن (العين ما تعلاش عن الحاجب) وغيرها من النصائح التي يعتقد أنها مناسبة لحالتي.. كانت الدنيا كلها تتوقف بالنسبة لي عند قدومها فتختفي السيارات والعمال ومضخات البنزين لتتقدم سيارتها تجاهي بالتصوير البطيء ولا تعود الحياة لزخمها إلا بعد مغادرتها.. وفي آخر مرة رأيتها داخل البنزينة، وفي آخر يوم عمل لي باغتتني وأنا أقف بجانب زجاجها منتظرا انتهاء ملء التانك بسؤال:

- هوَّ انت متأكد إنك عامل بنزينة؟

books-spring.com

لم أجبها عن سؤالها، وإنما ابتسمت فقط، إلى أن غادرت وأنا على يقين أنني سأراها ثانية.. لقد قررت أن تكون قدري ونصيبي في الحياة.. لم أتصور قبل ذلك في حياتي أني سأتعلق بشخص أيا من كان إلى هذه الدرجة، بل إنني كنت أسخر في داخلي من قصص الغرام التي تنتشر بين أقراني في الجامعة كالوباء.. صحيح أنني كنت أفكر أحيانا في مواصفات رفيقة المستقبل من رجاحة العقل والثقافة وعمق الفكر وحتمية الاهتمام بالفلسفة، إلا أنني لم أفكر أبدا في الحب أو أراه حقيقة واقعة إلا الآن.. ها أنا أهيم شوقا.. حتما سأتزوجها.. فأنا أعلم عنها الكثير و(عطا) يعلم عنها كل شيء وأستطيع أن أذهب وأتقدم لخطبتها فورا.. سأنتظر فقط حتى يعود عمي من السويس بعد أسبوع لأفاتحه في الموضوع وأنطلق إلى حبي وحياتي الجديدة.. نعم أحببتها؛ فحالة النشوة التي كانت تنتابني عند رؤيتها كانت كفيلة بأن تجعلني مطمئنا لمشاعري، ويا لها من نشوة.. فالنشوة في تعريفي هي اللحظة التي لا يفكر

books-spring.com

الإنسان فيها إلا فيها.. اللحظة التي تملك لبه وجنانه، يشعر فيها الشخص أنها ملكه وحده لا يتساوى معه فيها أحد.. وهذا الشعور قد يكون بالفرح أو الحزن، لا فارق، وإنما هو شعور وحدوي لا يشعر به إلا صاحبه»..

- الله.. اللحظة التي لا يفكر الإنسان فيها إلا فيها.. انت جبت التعريف ده منين؟

وأسرعت «هدى» تكتب الجملة التي أحست بها بشدة؛ فهي كذلك حين يستغرقها شعور بالفرح أو بالحزن تشعر بامتلاكها هذه اللحظة ولا تفرط فيها بسهولة.

ومضت تكمل:

- «عاد عمي في موعده من السويس وهو في حالة من الغضب والضيق أعرفها جيدًا حين تكون هناك مشاكل في العمل، وقبل أن أسأله عن المشكلة صرَّح بها وهو يخلع حذاءه بعد أن ألقى بنفسه على كرسي الأنتريه:

books-spring.com

- التخبط اللي احنا فيه ده هيخلص إمتى بس؟ لا حول ولا قوة إلا بالله.

- خير يا حاج، فيه إيه بس؟

- قوانين بتتغير واحنا ما عندناش أي فكرة.. لازم التحويل يبقى مطابق للكميات اللي جاية.

- مش فاهم.

- ولا هتفهم.. حاجة كده تخلي المستوردين يجيبوا ضلف شركاتهم ويهجوا م البلد.. طب عايزين مطابقة يبقوا يقللوا الضرايب والجمارك شوية؟ الناس هتشتغل إزاي؟ عارف يا (إبراهيم)، القرار ده ممكن يخرب بيت كل المستوردين الصغيرين اللي بيلعبوا في الميتين والتلتميت ألف في الشحنة؟

- مش اتحلت ولّا إيه؟

- طبعا اتحلت الحمد لله.. بس واضح إن اللي جاي في البلد ما يطمنش خالص.

books-spring.com

- روَّق كده يا حجيجة، عاوزك في موضوع.

- ماشي يا حبيبي.. أريح بس شوية وبعدين... أخ.. عندنا مشوار بعد ساعتين وعايزك تيجي معايا.. هريَّح ساعة ونقوم نروح وتبقى تحكيلي واحنا راجعين.

ولم يكن المشوار سوى حفل خطوبة.. فقد تلقى عمي العزيز على موبايله دعوة من المستشار أحمد رضا لحضور حفل الخطوبة في فيلته الجديدة بالمعادي، وحين سألته عمَّن هو أحمد رضا أخبرني أنه صديق قديم وبينهما مصالح وكان جارا لنا في وسط المدينة منذ زمن وانتقل إلى فيلته الجديدة بالمعادي منذ يومين فقط ليقيم بها حفل خطوبة ابنته.. ماسة..

- ماسة؟ اسمها ماسة؟

- اسم غريب مش كده؟ بس اسمها.. وبعدين انت مستغرب كده ليه؟ هوَّ أنا اللي سميتها؟

- طب عندك فكرة هي معاها إيه؟

books-spring.com

- لسة طالبة في الجامعة الأمريكية.

دارت بي الدنيا.. أتكون ماستي؟ سؤال ساذج بالطبع.. بالتأكيد هي، فالاسم غير شائع وكانت تسكن في وسط المدينة وطالبة بالجامعة الأمريكية.. واستغرقني التفكير الذي لم يطُل.. أأذهب مع عمي؟ نعم سأذهب، فهي لي أنا واختياري الأول لقدري ولن أتخلى عنه.. ثم إنها تحبني أنا ولا تعلم شيئا عن حالي وعن إمكاناتي.. سأذهب وأقاتل ولندع أحاديث المروءة وعدم الحيلولة بين المخطوبين وما شابه جانبا.. فإن كان ما سأفعله بالتفريق بينها وبين خطيبها إثما.. فليكن.

وذهبت متأنقا كما لم أتأنق من قبلُ..

كنا قد تأخرنا قرابة الساعة عن الموعد؛ حيث تمادى عمي في غفوته من شدة التعب.. ودخلنا الفيلا واستقبلنا المستشار رضا بالترحاب من الباب الذي يؤدي إلى صالة مفتوحة على صالة داخلية أكبر، حيث العريس و(ماسة) يرقصان على أنغام الدي جي

books-spring.com

وحولهما الكثير من الشباب.. لاحظت فرحة العريس بعروسه وبحفلته ولاحظت أيضا فرحة ماستي المنطفئة؛ فعلى الرغم من انطلاقها المعهود، لم تكن كحالتها التي أعرفها والتي تشع بهجة وسرورا دون تصنع.. أما هذه المرة فقد بدا التصنع واضحا.. لي على الأقل.. ها أنا أتابعها من ركن في الصالة يبدو لي منزويا.. وها هي فتاتي الجميلة البراقة برداء وردي زادته هي جمالا تدور في رقصتها ليتطاير رداؤها صانعا معها دائرة شديدة الجمال ورائعة الاستدارة بمقاييس فاتنة الإبداع تشع نورا في هالات لا أعتقد أن غيري يراها.. إنها نشوتي.. حالتي التي قررت أن أحارب القدر من أجلها.

ثم تغيرت الموسيقى فجأة ليترك العريس يدها ويتداخل الجميع في رقصات يرقص فيها العريس مع غيرها من الفتيات وترقص هي مع غيره من الفتيان.. إنها فرصتي..

books-spring.com

وتقدمت، لا أرى غيرها.. وفي دورتها ممسكة بيد شاب آخر ترك يدها لتستقر في يدي لتستدير فتجدني في مواجهتها ويدها في يدي وعينيَّ تنظران لعينيها مباشرة.. توقفت هي عن الرقص ونظرت في عيني نظرة.. تلك النظرة.. إنها هي.. إنها تشعر بالنشوة نفسها.. نسيَت كل ما حولها وبرقت عيناها ببريق أعرفه جيدا.. لحظة توقف فيها الزمن تماما.. لا ندري كم استمرت ولا ما إذا كان أحد قد لاحظ شيئا أم لا، لكننا بدأنا نرقص معًا ونتناقل الرقصات وأعيننا لا تفترق، ثم نعود لبعضنا البعض، ثم ننفصل ولا تنفصل أعيننا.. حتى هدأت الموسيقى وطلب الدي جي من الجميع أن يلتزموا أماكنهم ليلبس أكرم ماسة الشبكة.. انزويت في الركن نفسه..

الجميع في حالة فرح، وأكرم وماسة في الكوشة، يخرج الشبكة من علبتها ويبدأ ليضعها لها.. (أكرم) سعيد سعادة الفائز، أو هكذا بدا لي، أما هي فقد ركزت نظرها بشكل ما في الفراغ.. راهنت نفسي أنها كانت تتساءل هل ما رأته حقيقيا أم لا.. ثم ما لبثت أن

books-spring.com

ابتسمت ابتسامة باردة لأكرم وبدأت تتجول بنظرها في المكان باحثة عني.. أنا كسبت الرهان.. فما إن وقعت عيناها عليَّ في ركني المنزوي إلا وتغيرت نظرتها واتسعت حدقتها وكأنها تقول: (انت موجود فعلاً؟).. نعم أنا موجود هنا من أجلك ولن أتنازل عنك أبدا يا حبيبتي»..

صفحة بيضاء.

دمعت عينا «هدى» وأغلقت الدفتر ووضعته على المكتب ودلفت إلى سريرها واستلقت وغطت وجهها بالمخدة الصغيرة وانهمرت في بكاء لا تعرف له سببا.

بعد لحظات دخلت «هدية» الغرفة وتعجبت:

– انتي نمتي يا «هدى»؟ أمال البحث والكلية والبتاع.. قومي يا حبيبتي نحط الغدا.. أبوكي جه.

* * *

books-spring.com

في المعبد ضخم البناء ذي النقوش الحجرية والأعمدة والتماثيل الفرعونية، يجلس مجموعة من الشعب يلبسون غطاءا رقيقا للجزء السفلي من أجسادهم في انتظار قدوم الكاهن الأعظم «لهليوبليس».

همهمات من الحاضرين وبعضهم يحمل برديات تحوي الأسئلة التي يريد سؤالها للكاهن وطلبات التعويذات المطلوبة لدفن الموتى.

يجلس في الأمام «إبراهيم» مرتديا نفس اللازي حاملا البردية خاصته وتحوي كلمة نفيش **Nephesh**.

تقرع الطبول معلنة قدوم الكاهن مع صوت خادم المعبد:

– الكاهن الأعظم «**wr - mAw**» كبير الرائيين رئيس أسرار السماء.

يدخل الكاهن ضخم الجثة مرتديا تاجا مخروطيا ورداء يشبه العباءة من دون أكمام، لكنه شديد التطريز وكثير الحلي الذهبية.. ويتحرك

books-spring.com

حركة سريعة ومن خلفه بعض الخدم.. ليجلس على عرش في مقدمة المعبد.

يعلن صوت خادم المعبد:

- الطلب الأول.

يقف «إبراهيم» ويتقدم من الكاهن..

ينظر الكاهن لـ«إبراهيم» نظرة تأمل ثم يبتسم:

- أنت مصري؟

- جدا.

- شكلك غريب.

- أنا من الزمن القادم.

- عظيم.. إحنا كمان نجحنا في السفر للزمن السابق.. سؤالك إيه؟

يقدم «إبراهيم» البردية للكاهن الذي تجحظ عيناه ويقف ناظرا للسماء رافعا البردية لأعلى مرددا:

books-spring.com

- ذَات لَطِيفَة كَالْهَوَاءِ سَارِيَة فِي الْجَسَد كَسَرَيَانِ الْمَاءِ فِي عُرُوقِ الشَّجَرِ.. رين، سكم، با، كا، آخ، آب، خيبيت.

- نعم؟

يشير الكاهن لـ«إبراهيم» ليهدأ ويبدأ في عمل إشارات بيده في الهواء وببطء:

- رين، مولود جديد.. سكم، حيوية الشمس.. با، الإنسان المتفرد بذاته.. كا، قوة الحياة اللي لو تركت جسمه يموت.. آخ، شبح كا وبا.. آب، قطرة من قلب الأم.. خيبيت، ظل الإنسان.. نيفيش بتطير في النوم والموت وبتعود في اليقظة والبعث.

يفيق «إبراهيم» على يد «عماد» تهز كتفه:

- إيه يا معلم رُحت فين؟ الجرسون بيسأل تشرب إيه.

- كابوتشينو.

يمشي الجرسون ويظل «عماد» متأملا ملامح «إبراهيم»:

- إيه يا «إبراهيم»؟ فيه إيه قدامك ع اللاب خلاك تتلاشى من الدنيا؟

- تخيل يا «عماد» إن أفكار قدماء المصريين عن الروح والجسد قريبة جدًّا من معتقداتنا.. الروح عندهم «كا» مرتبطة بالجسد.. الجسد جواه عوامل التحلل.. وبعد الموت بيتحلل الجسد وتفضل الروح في القبر في حياة من عالم آخر إلى البعث.. همَّ كانوا بيحنطوا الجسد علشان يفضل جاهز لاستقبال الروح طول الوقت.. أنا قابلت «ور ماو»، الكاهن الأعظم حارس الأسرار، وقال لي الكلام ده بنفسه.

- يا صلاة الحد.. ده انت وصلت.. الدماغ دي بيدفعوا فلوس كتير علشان يوصلولها على فكرة.

* * *

books-spring.com

نوت «هدى» عدم التوقف عن قراءة المذكرات، وقد كان لسفر أبيها بعد الغداء، إلى بلدته في كفر الشيخ، مفعول في هذا القرار؛ حيث شعرت باختفاء الرقابة، على الرغم من أن علي عبد الظاهر قد نسي أصلا موضوع المذكرات وانشغل تماما بما ينتظره في بلدته من مشاورات وجلسات لحل مشكلة تتعلق ببيت قديم هو إرث مشترك بينه وبين إخوته، يرون هم أنه قد جار على حقهم فيه، بينما يرى هو أنه قد أكرمهم أكثر مما ينبغي.

لم تُضيِّع «هدى» وقتها؛ فبمجرد خروج أبيها للسفر تعللت بالتعب للهرب من مساعدة «هدية» في أي شيء ودخلت غرفتها وأغلقتها بالمفتاح على غير عادتها وانطلقت تكمل القصة..

أطالت النظر هذه المرة في الصفحة البيضاء؛ فقد بدا لها أن الصفحة لم تكن مثل الصفحات البيضاء السابقة؛ حيث آثار كتابة بقلم رصاص ممسوحة ظلت باقية دالة على أن «إبراهيم» قد كسر نمطه وأضاف شيئا ثم محاه، وأصرت «هدى» على أن تعرف ما

books-spring.com

هو، لكنها بعد محاولات مضنية لم تحصل إلا على كلمتين: «حارس البوابة».. وكان واضحا أنه قد كتبهما بعمق أكثر من باقي كلمات السطر المكتوب؛ حيث مُحيت جميعًا إلا من بعض الحروف الغائرة ولم يبقَ أثر واضح إلا لهاتين الكلمتين.

وماذا بعد الصفحة البيضاء؟!

- «لم يكن غريبا بالنسبة لي، مطلقًا، أن تنفصل ماسة عن خطيبها بعد أقل من أسبوع، وحينما شرعت في أن تحكي لي كيف حدث ذلك وأن أكرم بك، وكيل النيابة، انتابته حالة من رفض الواقع وأقسم لها إنه لن يتركها لغيره أبدا.. لم أهتم.. وأخبرتها أن ما يهمني قد حدث وأنه لن يحول بيننا حائل بعد الآن، وقد أرضى غرورها أن نظرتها لي من البداية كانت ثاقبة وأن قصتي مختلفة تماما عن هذا العامل المعدم في البنزينة.

books-spring.com

كان شعوري بها عميقا طاغيا، غير أن الكلمات لا تسعفني، وكنت أعبر عن حبي بما أستطيع من تلميحات أو حتى تصريحات تشوبها السذاجة الشديدة مثل:

- أنا ما حدش عمل فيَّ كده قبل كده، أو أنا بقيت مشغول بيكي عن نفسي.. أو أن فلاسفة اليونان لا يستطيعون وصفها اللائق.. أو أن دافنشي لو رآها قبل الموناليزا لكانت صورتها هي المنتشرة حاليا كرمز للجمال.. وكانت هي أقدر مني على التعبير عن الأحاسيس والمشاعر.. ولم أصدق نفسي يوم شعرت بالكلمات تتدفق من قلبي إلى يدي لأسطر شعرا.. صحيح أنه أشبه ما يكون بـ(الحب الحب الشوق الشوق)، إلا أنني كنت أشعر بكل حرف فيه وقد وصل شعوري لها كاملا، معبرة عن أن ما كتبت يفيض حلاوة ورقة وعذوبة.. بل أنتِ من تملكين الرقة والعذوبة والجمال.. وكان لتخليل يدها لرأسي حينما أخبرتها أنني وُلدت يتيما مفعول السحر؛ فقد سرى في جسدي كله كالكهرباء وشعرت بسكينة وطمأنينة لم

أشعر بهما قط في حياتي من قبلُ.. ما كل هذا الحنان المتدفق؟ أيقنت أن روحينا متلاقيتان وأننا روح واحدة منذ قديم الأزل انقسمت في جسدين.. أصبحنا لا نفترق حتى في منامنا.. نكاد نتفق في كل شيء.. حتى متطلباتي السابقة في شريكة العمر وجدتها واضحة جلية في ثقافتها وعمق آرائها.. أنهيت عامي الدراسي الأخير، وقبل أن تظهر النتيجة توجهت مع عمي إلى والدها لخطبتها.. وحددنا موعد الحفل بعد أسبوعين من ذلك اليوم، وعلى الرغم من عدم وجود مقارنة بين فيلتهم بالمعادي وبيتنا، من حيث الحداثة والشياكة، فإنني صممت على أن يكون حفل الخطوبة في منزلي أنا؛ حيث لم تغب الحفلة السابقة عن مخيلتي ولم يكن هناك متسع من الوقت لحجز قاعة في فندق أو دار.. ووافق المستشار رضا، وبدأنا في تجهيز المنزل للحفل.. وفي الأسبوع السابق للخطوبة، ذهبت مع حبيبتي لنشتري الشبكة واشتريت لها ماسة، وبالطبع أضفتُ لمستي كشاعر محنك قائلا: (أجمل ماسة لأجمل ماسة)..

books-spring.com

ويبدو أنني كنت موفقا؛ حيث ضحك جميع من في المحل على هذا التعبير الشعري البليغ.. استطاع العامل في المحل أن يجعل الماسة داخل إطار ليتم وضعها في منتصف كوليه ذهبي أعجب ماستي جدًّا ورأته أروع ما يكون، أما أنا فكان جُل منايَ سعادتها وأن أرى في عينيها فرحة ارتباطنا ولو كلفني ذلك عمري كله.

أعددت للحفل نظاما مختلفا تماما عن حفلها السابق؛ حيث اعتمدت على صديقي اللدود «عماد» في تحضير تخت شرقي مع مطربة أكاديمية ورتبت أن تكون ماستي لي وحدي طوال الحفل وطول العمر، وتماديت في الاهتمام بالتفاصيل حتى ترتيب الأغاني الهادئة الحديثة والقديمة كما أعددت لها مفاجأة اعتقدت أنها ستفرحها.. ومضى الحفل نرقص معًا بهدوء طوال الحفل ونحن في قمة السعادة إلى أن جاءت لحظة مفاجأتي التي بدت آثارها واضحة في عينيها بدموع تتألق مع وجهها الفتان الباسم وهي تسمع صوتي مغنيا:

books-spring.com

– معقول.. لا مش معقول.. القلب اللي اتمنيته يا قلبي معقولة اتمناك.. واللي انت حلمت ف يوم بيه يا قلبي معقول يبقى معاك.. عيش الحلم حقيقة عيشه بكل دقيقة واياك تاني تخاف أو اشوفك خواف.. لا لا لا لا اوعى تخاف يا قلبي.

وانطلق الجميع في الصفير والتهليل والتصفيق، بينما أحتضنها بشدة وأدور بها.. وعلمت – بعد وقت من الصدمة – أن الرصاصة التي أطلقها أكرم كانت تقصدني أنا، غير أن دورانا قد جعلها تضل الطريق إلى ظهر حبيبتي لتفارق الحياة.. وهكذا قرر حارس السماء أن يمرر روحها لأعلى ويُبقي روحي في دنياها تتعذب لفراقها وتبكي دما متعجبة من هذا القدر الذي أبقاها دون نصفها الآخر».. انسابت دموع «هدى» واضعة أظافر يدها اليسرى بالكامل داخل فمها وهي تعيد قراءة تفاصيل الحفل لتتأكد أن ما فهمته صحيح وأن فرحة «إبراهيم» قد انطفأت وحلمه قد انتهى وماتت «ماسة».

books-spring.com

* * *

عند دخول «إبراهيم» قاعة المحاضرات واستعداداته المعتادة من وضع الـ«لاب توب» والـ«داتا شو» ثم إيصال «الفيشة» في المشترك المستقر تحت منضدة الشرح، لاحظ مفكرته الضائعة راقدة بجانب المشترك.. نظر لها قليلا ثم تناولها بابتسامة وأوصل الكهرباء لأجهزته وبدأ يشرح لطلابه مع تتابع الـ«باور بوينت» على الشاشة البيضاء:

– يقول «نيتشه» معرفا الروح العلمية:

«أفهم أن الروح العلمية اعتقاد ظهر أيام (سقراط)، وأنه معرفة الطبيعة وحقائقها، كما أن المعرفة تملك في ذاتها فضيلة الخلاص الكوني (1)».

من خلال هذا الكلام، يمكن أن نستخلص بعض مقومات الروح العلمية، المتمثلة في: المعرفة، الحقيقة، الفضيلة، ثم «سقراط» ذاته.

books-spring.com

ويعتبر هذا الأخير في نظر «نيتشه» الممثل الفعلي لهذه الروح العلمية، وذلك نظرًا لمطابقتها لمبادئ «سقراط» الثلاثة التالية:

«الفضيلة معرفة، لا نذنب إلا عن جهل، الإنسان الفاضل سعيد (2)».

وهنا رفعت «هدى» يدها مشيرة له من الصف الثاني بالمدرج.

وانتبه لها بنظرة تعجب؛ حيث إنه منذ أول العام قد أخبر طلابه أن من يريد الخروج من المحاضرة فليخرج بهدوء دون استئذان حتى لا يقاطع استرساله، كما وضع نظاما للأسئلة في آخر المحاضرة..

فماذا تريد هذه الطالبة بإشارتها هذه؟

- خير؟

- أبدا يا دكتور، كنت عاوزة أسأل سؤال لو سمحت.

وعلت همهمات الطلاب الذين أشار لهم «إبراهيم» بالهدوء، فما لبثوا أن صمتوا.

- انتي عارفة النظام.

ثم تابع ضاحكا:

- وعارفة إن الشباب هنا ما بيرحموش، ولو كسرنا النظام مرة هتركبهم الفلسفة اللي كلنا بنعشقها وكل واحد هيحب يسأل ويعقب ويتفتح باب أنا مش هاقدر أسده تاني.

همَّت «هدى» بالكلام مرة أخرى، لكن «إبراهيم» قاطعها مبتسما:

- ما ينفعش.. أوعدك بعد المحاضرة أفضيلك نفسي تلات دقايق ليكي لوحدك تسألي على اللي انتي عاوزاه كله.. أنا ما صدقت إن فيه نظام في بلدنا اتعمل وما حدش بوظه.. ههههه.

وتابع «إبراهيم» محاضرته بعد أن اعتقد بعض أصدقاء «هدى»، الذين يعلمون طبيعتها، أنها قد تنهار بسبب إحراج «إبراهيم» لها، غير أنهم جميعًا، وحتى «آية»، لم يخطر ببالهم مطلقا أن «هدى» صارت في قمة سعادتها؛ حيث إنها قد قررت، منذ الأمس، بعد أن أغلقت مذكراته، أن تخترق عالمه وقد أيقنت بداخلها أن هذه الدقائق الثلاث ستكون بوابة الاختراق.

books-spring.com

كانت «هدى» بالأمس قد توقفت عن القراءة وقررت عدم متابعتها بعد أن استشعرت أن الجزء المقبل سيكون من صميم الأسرار التي لا يحق لها قراءتها أبدا، كما لم ترد أن تفقد نظرتها له حينما تابعت سطوره الأولى في فصله التالي بعد مقتل «ماسة»، التي استهلها معربا عن قراره أن يحاول إلهاء ذهنه بالتفكير في الجسد ومتطلباته التي تشغل الجميع إلا هو، وأن أول تجربة تمت بمساعدة «عماد» بعد رحيل «ماسة» بأيام.. وحينما شرع في أن يحكي تفاصيل القصة، أغلقت دفتره من فورها عازمة على عدم الإكمال.

* * *

- أنا اسمي «هدى».. هدى علي عبد الظاهر.

- ماشي.. فرصة سعيدة يا «هدى»... سؤالك إيه؟

books-spring.com

- الحقيقة يا دكتور «إبراهيم» أنا سؤالي مالوش علاقة بالفلسفة.. إنما له علاقة بالدين.

- تشربي حاجة يا «هدى»؟ انتي أكيد أول مرة تدخلي قاعة اجتماعات الأساتذة.. وعم محمود بيعمل نسكافيه هايل على فكرة.

- لو مصمم يا دكتور يبقى عصير فريش، بس أنا خايفة أطوِّل على حضرتك والتلات دقايق اللي حضرتك سامحلي بيهم أتجاوزهم وأزعجك.

- مش مشكلة خالص.. المشكلة الحقيقية إنك جاية تسألي في الدين.. وأعتقد تماما إني الشخص الغير مناسب.

- الموضوع له علاقة بـ«نيتشه».. يعني إزاي واحد يعتبر أحد أكبر محركي الشر في تاريخ البشرية ورمز الإلحاد الأول في العالم تبقى آراؤه ومعتقداته أساس لدراسة مجموعة من الشباب ممكن جدًّا يتأثروا بيه ويبقى الأساتذة اللي بيدرسوا الكلام ده سبب في إلحادهم ويتحملوا ذنبهم؟

books-spring.com

- هههههههه.. لأ بجد هههههههه.. ازيك يا شيخ عبرحمان.. ههههه.

- انت بتتريق عليَّ يا دكتور؟

- لا والله، بس أنا إمبارح كنت قاعد مع عمي وكان بيقول لي نفس اللي بتقوليه ده يا «هدى».. بس أنا هردّ عليكي.. المعرفة يا «هدى» مهمة جدًّا لكل إنسان.. كل واحد فينا لازم يعرف كل حاجة في الدنيا وبعدها يقرر معتقداته مش العكس وحتى لو بصينا للموضوع نظرة دينية فلسفية هنلاقي إن أكيد ربنا بيجازي الإنسان اللي بيبحث ويطّلع على كل النظريات وفي الآخر يقرر الإيمان، أحسن من الإنسان اللي وجد حياته مليئة بالمسلَّمات وآمن بربنا بالوراثة دون أدنى علم.. مش كده؟

- أنا بتكلم عن «نيتشه» بالذات.. بحس إنه مختلف من ناحية العنف والسادية عن غيره حتى من عتاة الإلحاد.

books-spring.com

واستمر الحديث، الذي كان مقدرا له ثلاث دقائق إلى ما يقرب من ثلاث ساعات، ظلت «هدى» خلالها تراوغ بكل ما أوتيت من ثقافة لتطيل الجلسة وتناقش وتجادل حتى توجِد مساحة مشتركة من الاتفاق أو حتى الاختلاف، الذي قد يمهد لجلسة أخرى قريبة.

* * *

أثناء جلوسه على الكمبيوتر في منزله منهمكا في أبحاثه ممسكا بقلمه وحوله دفاتره وأكثر من عشرة مراجع كل منها مفتوح على صفحة محددة؛ إذ يرى أسفل الشاشة ما يفيد بورود «إيميل» يخبره بأن هناك طلبي صداقة على الـ«فيس بوك» أحدهما من «هدى» والآخر من عادل جوهار.. وعلى الرغم من قبوله صداقة «هدى» فإنه لم يلتفت كثيرًا لذلك؛ حيث إن اسمها على الـ«فيس بوك» لم يكن هدى علي عبد الظاهر كما عرفته نفسها.. بل كان اسما

books-spring.com

آخر.. وظن أنها تقصد بهذا الاسم المكتوب كفتاة مراهقة لم يعلم أنها كانت جليسته طوال اليوم أنها تريد أن تخبر الشباب أنها «هدية» لمن يريد الارتباط أو ما شابه؛ حيث كان اسمها الفيس بوكاوي «هدى بنت هدية».. اهتم «إبراهيم» أكثر بعادل جوهار وقبل الصداقة ثم لم يلبث أن تصفَّح كل ما يخصه وعلم أنه يعمل في مدينة السادات بمصر، حيث أعاد له الاسم ذكريات قديمة لزميل الدكة الإعدادية عادل جوهار العبقري الفذ.. وأرسل «إبراهيم» من توه رسالة لـ«عادل» يطلب منه فيها أن يراه في أقرب وقت.. ففي مرحلة ما من العمر كان الصديقان «إبراهيم» و«عادل» لا يفترقان إلا للنوم؛ فقد جمعتهما يوما الرغبة الحثيثة في المعرفة الشاملة لكل شيء متاح في هذه الفترة وانقطعت العلاقة بهجرة والد «عادل» إلى أمريكا ولم يسمع «إبراهيم» عنه شيئا منذ ذلك الحين.

* * *

books-spring.com

في قاعة اجتماعات داخل كوخ محفور أعلى قمة جبلية وحيث منضدة الاجتماع مصنوعة من أخشاب الأشجار السميكة وقائمة فوق الحجارة وحيث يجلس المجتمعون، كل على حجر كبير، ويرتدون ما يشبه الملاءات البيضاء التي تغطي جزأهم السفلي كاملا بينما تُظهر جانبي الجزء العلوي من أجسادهم وحيث تكاد أطراف «إبراهيم» تتجمد من شدة برودة الجو يبدأ «أفلاطون» الحديث:

- المدينة الفاضلة.. التي نعمل لها ونحلم بها.. لو طبّق الإنسان التعاليم الإلهيّة والتزم بالأخلاق وفضائلها لكان العالم بأسره فاضلا.. تعالوا معي..

ليختفي المكان ويرى «إبراهيم» صحراء مترامية خالية من أي شيء إلا المجموعة التي كانت لتوها داخل الكوخ، ثم يرى «أفلاطون»

books-spring.com

مشيرا إلى بعيد؛ حيث بدأت تظهر في الأفق عربة يجرها حصان وينطلق الحصان بقوة قاطعا الصحراء بينما «أفلاطون» يتحدث:

- أترى معي يا «إبراهيم» هذا الحصان الذي يجر العربة؟ إنهما معا يشكلان الحياة.. فهذا الحصان يتحرك من وحي النفس والرغبة الجموح، بينما هو معقول في تلك العربة الثقيلة التي تأمره بالتروي وتمثل العقل.. هذه هي الكينونة البشرية الخالصة.. النفس.. الرغبة.. العقل.. النتاج الحقيقي لالتحام قطبي الوجود.

- هه، ما زلت عند أفكارك يا «أفلاطون»، معتقدا أن الروح والجسد ليسا كائنا واحدا وإنما قد التحما ليشكلا الوجود الإنساني متفانيا في نظريات الأرواح العليا والسفلى، وكأن كل فرد منا جسدا مليئا بالأرواح المتناغمة تحت لواء العقل المبهم.

- وما الذي يضايقك في ذلك يا «أرسطو».. والجميع يعلم أنك لم تكن لتصل لأي أفكار أو قناعات عن الروح إلا من خلالي أنا «أفلاطون» أستاذك؟

books-spring.com

– لقد تفوق التلميذ على أستاذه يا معلمي وأحاط بما لم يحط به..

ليتغير المكان ويرى «إبراهيم» نفسه منفردا بـ«أرسطو» في حديقة شديدة الجمال يجلسان تحت شجرة تفاح ليرفع «أرسطو» يده اليسرى في الهواء فتتهادى تفاحة من فوق الشجرة لتستقر في يد «أرسطو» بينما تظهر في يده اليمنى سكين حادة يضعها على منتصف التفاحة ويقسمها ببطء:

– هكذا الجسد يا «إبراهيم».. إنه هذه السكين الحادة.. أما الروح فهي التي تقطع هذه التفاحة.. فما الجسد إلا أداة لتنفيذ ما تقوم به الروح.. وما الروح والجسد إلا كائن واحد.. تمثل الروح فيه كينونة الجسد غير منفصلة عنه أو مضافة إليه وإنما هي ما تكون الجسد من أجل غايتها وتتلاشى مع انعدامه مثلما ينقطع فعل السكين بتدميرها.

وبينما كان «إبراهيم» محدقا بعينيه على يدي «أرسطو»، في إصغاء تام غير مدرك لما حوله، إذ تقطع تركيزه ضحكة عالية

books-spring.com

واضحة السخرية فيرى «إبراهيم» نفسه وقد صار جالسا في ما يشبه مقها أوروبيا، وحينما جال بنظره يمينا ويسارا علم أنه لا محالة في الريف الفرنسي من حيث صورة البناء وحركة العربات التي تجرها الخيول بينما قطع تأمله انتباهه للضحكة نفسها التي ما زالت مستمرة ليلتفت إلى جانبه ليرى جليسه ذا وجه مستطيل غير متناسب مع الباروكة البيضاء العالية المتربعة فوق رأسه بينما ملابسه تنقسم إلى رداء طويل جميل التطريز مفعم بالألوان وبنطال أبيض يشبه تماما ما يرتديه راقصو الباليه مظهرا جميع تفاصيل جسده السفلي من شدة الضيق:

- انت بتضحك على إيه؟

- إنني أضحك من آراء أصدقائك يا «إبراهيم».. إن الروح وتنظيم الاعتقاد بالروح يقعان في منطقة محددة في الدماغ (3).. أنصحك أن تبحث بأسلوب مختلف، حيث الشك هو الطريق الأمثل للإثبات؛ فعلى الرغم من قناعاتي بثنائية الروح والجسد فإن التسليم بأي شيء

هو في النهاية قرار عقلي لا يأخذه إلا صاحبه، فالبداهة والاستنباط ضروريان مع التسليم بيقينية المبادئ التي تبدو للعقل بسيطة وواضحة، لا تثير يقينيتها أي شك وتقسيم كل مشكلة إلى أجزائها ثم الانتقال المنظم من المعروف والمبرهن عليه إلى المجهول، الذي يتطلب البرهان مع عدم إغفال أي من مراحل البحث المنطقية.

- وماذا يفهم «إبراهيم» من ذلك يا أبا الفلسفة الحديثة «ديكارت» العظيم؟ إنه يريد الحقيقة وليس أسلوب البحث.

ليلتفت «إبراهيم» خلفه، حيث يجلس شخص آخر يرتدي ملابس تشبه ملابس «ديكارت» وينظر له «إبراهيم» باستغراب، إلا أن الآخر لا يلبث أن يقف ويضع يده على كتف «إبراهيم» قائلا:

- إن مصدر اندفاع الإنسان لفهم ماهية الروح هو في الأساس محاولة من العقل للوصول إلى نظرة شاملة لطريقة تفكير الإنسان، أي أن العقل الذي يحاول تفسير كل شيء على أساس عملي سوف يضطر إلى التساؤل عن الأشياء المجهولة غير الملموسة.. الروح

books-spring.com

ما هي إلا فكرة مسيطرة علينا يجب دراسة عواملها النفسية ليس أكثر (4)..

ليقاطعه «ديكارت»:

- إيمانويل كانت يرى أنها رغبة نفسية ليس إلا.. يا له من تفسير.

لتمتد يد «كانت» مرة أخرى لتهز «إبراهيم» بعنف:

- «إبراهيم».. «إبراهيم».. يااا «هيمه».. فوق يابني هتتأخر ع الكلية.

- يااااه يا شيخ «عبد الرحمن».. والله الجماعة اللي كنت قاعد معاهم أهم م الكلية واللي فيها.

* * *

بعد محاضرة طويلة من الحديث عن الفلاسفة والروح لم يمل حاضروها من الإنصات والتدوين، وفي الردهة الخارجية للقاعة

عمدت «هدى» إلى الانتظار حتى ينتهي باقي الطلاب من التفافهم حول «إبراهيم» لتعاود محاولة الاختراق مرة أخرى، التي بدا لها أنها أصبحت أسهل بعد الحديث السابق وحيث حوت المحاضرة الكثير من النقاط التي توقن أنها تستطيع، وبمهارة، استغلالها لمواصلة الحديث مع أستاذها الذي باتت لا تفكر إلا فيه.. وقد حدث ما أرادت، حيث التفت لها «إبراهيم» بعد أن حيَّا زملاءها وانفضوا من حوله مبتسما:

- الفيلسوفة الفذلوكة العظيمة.. ازيك يا «هدى».

وكم كانت سعادتها لتذكره اسمها وقبوله عزومتها هذه المرة خارج أسوار الجامعة، التي استمرت لثلاث ساعات أخرى، تطرقت «هدى» فيها للحديث بعض الوقت عن مشاعرها الشخصية وحكمها على الأمور من منطقها المشوب دائما بالإحساس وليس العقل فقط واختلافهما معا حول منطقية ذلك.. وعلى الرغم من سعادتها الغامرة بالحصول على رقم محموله الخاص وتسجيله لرقمها أيضا وفرحتها

books-spring.com

بأنه قد اعترف لها أنه لم يعطِ هذه المساحة من التواصل لأحد من طلابه من قبلُ، فإن ما شغلها جدًّا في نهاية الجلسة وعند وقت مغادرة المكان الهادئ الراقي الذي جمعهما أنه قد تركها بالفعل تدفع قيمة ما تناولاه معًا دون أي بادرة منه لفعل ذلك.. فكلفتها الجلسة مصروف شهر كامل وأخذت تفكر في أمرين مهمين، الأول: هل هذا التصرف يليق بـ«جنتلمان» رسمته في خيالها؟ وهل كان من الخطأ والسذاجة أن تدعوه هي لهذه العزومة معلنة إصرارها في البداية أنها لن تقبل إلا بذلك.. والثاني والأهم: ماذا ستفعل لكي تحصل على نقود إضافية من علي عبد الظاهر لإكمال الشهر الذي ما زال في بدايته مع علمها بنظام والدها الذي يقتضي أن تبلغه بأي مصاريف إضافية قبل أسبوعين على الأقل من الحصول عليها ويقينها أنه سيكتشف لا محالة أي محاولة منها للكذب بشأن المصروف الضائع ومن أول جملة ستقولها.

books-spring.com

* * *

- خير يا رب، دي أول مرة تزورني في الكلية.. وانت عارف أصلا من زمان رأيي فيك.. من أيام المسخرة بتاعتك اللي كان نفسك تجر صاحبك ليها بس ربنا ما وفقكش.

- أنا جايلك في موضوع مهم يا شيخ «عبد الرحمن».. وبخصوص صاحبي اللي انت مش طايقني بسببه.. ومن شدة حبي ليه قلت لازم أجيلك.. يمكن تنجح في اللي أنا فاشل فيه وتنقذ «إبراهيم».

- ما له «إبراهيم»؟ انت هتقلقني ليه بس؟

- أنا قلقان يا عمو ونفسي حد يشاركني ومالقيتش غيرك ممكن يهتم.. «إبراهيم» داخل في مرحلة عجيبة من الخيالات اللي بتصور له أماكن وأشخاص ماتوا من مئات وآلاف السنين بيكلموه ويتناقشوا معاه.

books-spring.com

- هه، هوَّ ده اللي قالقك؟ بس أنا مش الشايف الصورة كده يابني.. «إبراهيم» واعي تماما إن دي خيالات وهوَّ بنفسه اللي بيصنعها كنوع من كسر الملل في البحث بتاعه.. هوَّ قال لي كده بنفسه.

- يا عم الشيخ الموضوع ممكن يتطور.. «إبراهيم» وهوَّ بيحكي لي ساعات بسرح معاه وبحس إنه كان قاعد مع الناس دي فعلا أو على الأقل إنه مقتنع إنه كان معاهم.

- أنا شايف إن انت اللي محتاج تتعالج.. يمكن ربنا يهديك.. وينور بصيرتك للحق.

- يا شيخ «عبد الرحمن» مش مجاله دلوقتي.. ربنا يهدينا جميعا.. ومش هندخل في مناظرة دينية انت أقدر مني عليها بكتير.. أنا كل همي «إبراهيم».. «إبراهيم» وبس.

- ماشي يا «عماد».. أنا هاخد بالي وهتكلم معاه كمان.. ويمكن تستغرب لما تعرف إن أنا مبسوط إني شفتك ومبسوط كمان من اهتمامك بـ«إبراهيم»، بس يا ريت لو حبيت تكلمني في أي حاجة

بعد كده تبقى تيجي البيت مش كلية أصول الدين.. هوَّ انت دخلت الكلية إزاي أصلا؟

- هههههه.

* * *

لم يكن من عادة «إبراهيم» أن يرد على أرقام غريبة ترن على محموله، لكنه منذ يومين يرد على أي رقم غريب؛ حيث ينتظر اتصال صديقه القديم عادل جوهار الذي ترك له رقمه على رسالة «الفيس» السابقة طالبا منه الاتصال لتحديد لقاء قريب، وبالفعل جاءت المكالمة المرتقبة واتفقا أن يلتقيا يوم الجمعة بمدينة السادس من أكتوبر حيث يسكن «عادل» وتم اللقاء..

- يااااااه يا «هيمو».. ده انت ما اتغيرتش خالص.. إيه الحلاوة دي؟!

books-spring.com

- انت بقى اتغيرت جدا.. هوَّ فيه حد بكرش في أمريكا؟ وبعدين أصلا حد يسيب أمريكا وييجي يشتغل في مصر؟!

- مش أي حد يابني.. أنا هنا كأمريكاني.. بقبض بالدولار وفيلتي إيجار على حساب الشركة.. عارف لو أنا نفسي كده وبنفس شهاداتي وخبرتي بس بتعامل بالجنسية المصرية ما كنتش هاخد عُشر اللي أنا باخده دلوقتي وفي نفس الشركة وحياتك.

- عارف على فكرة.. احكي لي بقى كتير قوي، عاوز أسمع تجربتك الأمريكاوية الفذة.

- هما كلمتين يا حبيبي.. خلاصة التجربة.. من أيام ما كنا بنستلقي على سطوح بيتكم العالي قوي ده ونبص أنا وانت في السما ونقول ليه وازاي.. في أمريكا فهمت اللعبة ووصلت للنتيجة الخالصة.

- ههههه انت لسة فاكر السطوح؟ عموما أنا لسة عايش في نفس البيت اللي ما غيروش الزمان.

books-spring.com

- هايل، لازم أجيلك ونستلقي.

- إيه النتيجة الخالصة اللي وصلتلها يا «باشمهندز»، على رأي واحد صاحبي اسمه عم عليوة.

- عم عليوة؟ وصاحبك؟ انت نزلت من برجك العاجي ولّا الزمن مرمطك يا صديقي؟

- دي حكاية طويلة يا «دوله».. كمل انت بس.

- النتيجة الخالصة يا «هيمو» تتلخص في كلمتين زي ما قلت لك: عيش يومك.. بس.

- بس؟

- أيوه بس.. مش مهم بكرة، وبالأولى مش مهم بعد بكرة.. مش مهم نفلسف الأمور وندور على الهدف من الحياة والكلام الكبير ده.. قررت أشغل بالي بس بيومي ومتعتي فيه ليس إلا.. العمل متعة.. والأجازة والسهر والشرب متعة.. إيه اللي هيحصل بعد ما

books-spring.com

نموت ولّا هنشوف إيه.. إن كان ولا بد هنشوف حاجة نخليها لوقتها وكده كده هنشوفها سواء صدقنا أو لم نصدق.. آمنا أو لم نؤمن.

- وبس؟

- وبس.

- يعني انت مقضيها يا معلم.. شغل طول الأسبوع ومسخرة في الويك إند.

- مش مسخرة قوي يعني.. بيني وبينك المومسات الأمريكانيات قذرين بشكل مبالغ فيه.. وريحتهم وحشة مهما حطوا برفانات.. إنما هنا في مصر نضاف يا أخي.

- يا سلام الهوكرز المصريات أنضف؟

- بكتيييير.. حتى لو فلاحة من ورا الجاموسة.. الأمريكان ما بيستحموش يا «إبراهيم».. أقول لك على نكتة: ما عندهمش شطافات في التواليتات.. بيستعملوا مناديل.. تخيل؟

books-spring.com

- أيوه متخيل طبعا.. هنا وفي بلدنا فيه بعض الفنادق الخمس والسبع نجوم كده برضه.. أنا عانيت من الحكاية دي في شيراتون المنتزه.. حاجة تكسف بعيد عنك.

- شوف بقى لما واحدة عمرها ما استعملت الشطاف وما بتستحماش غير لما تفرج.. تخيل بقى ريحتها تبقى عاملة إزاي.

- يا دي القرف.. غيَّر يا عم الموضوع الزبالة ده أنا أصلا مش **interested**.

- ماشي.. انت اتجوزت ولّا خلفت ولّا مقضيها ولّا بتعمل إيه؟

- حارس البوابة.. ومجازًا الروح.

- نعم؟

- شغلي الشاغل في الحياة وموضوع رسالة الدكتوراه بتاعتي.

- يا روح ما بعدك روح.. ههههه.. عاوز توصل لإيه يعني مش فاهم؟ معطل حياتك كلها علشان تفهم حاجة مالهاش لازمة ليه؟ طب أنا مقضيها ومستمتع.. انت مستمتع؟

books-spring.com

- جدا.. عايش مع الفلاسفة والعلما بكلمهم وبيكلموني وبنتناقش وبنتفق ونتخانق.. ولسه هاغوص مع الديانات والروحانيين.. متعة رهيبة يا «عادل» ما يقدرهاش حد فرغ حياته للشهوة زيك كده.

- فرغ حياته للشهوة؟ اتلهي على خيبتك.. هوَّ فيه ألذ من الشهوة يا نيلة؟ روح إيه يا روحها؟ روح وتعالى بسرعة.. يابا مانا قلت لك اللي فيها.. بس تصدق.. حلوة حكاية الروح دي.. استمر، ولو وصلت للنتيجة اللي أنا وصلتلها ساعتها ههنّيك.

- نتيجة إيه؟

- أيتها السماء، صبي جام غضبك على المثقفين.. النتيجة يا «إبراهيم» اللي لسه قايلهالك.. لحقت تتساهم؟ ده هما كلمتين.. عيش يومك.. بلا روح بلا بوابة.

* * *

books-spring.com

- حمد الله بالسلامة يا «هيمه».. قليل قوي لما بتتأخر بره كده.. مش خير يابني؟

كان عبد الرحمن غالي قد استبد به القلق على ولده «إبراهيم»، خاصة بعد كلام «عماد» الذي ترك بعض صداه في نفسه، فذهب خياله إلى أن «إبراهيم» قد يتعرض للتوهان أو الغياب عن الوعي نتيجة خيالاته تلك.

- فاكر واحد صاحبي وانا صغير كان اسمه «عادل»؟

- يا الله.. ده «عماد» أرحم.

- هههههههه.. تبقى افتكرته.

- مش ابن سيد جوهار اللي كان بيشتغل في الحديد؟

- مظبوط يا حجيجة.. ساب أمريكا من سنتين وبقاله شهرين في مصر.. كان شغال في الإمارات وشركته بعتته انتداب سنتين في مصنع زجاج عازل في السادات.

- يا لطيف اللطف.. انت ناقص؟

books-spring.com

- أنا مش فاهم.. هوَّ العيل ابن اتناشر أربعتاشر سنة سايب معاك الانطباع ده العمر ده كله ليه؟

- لأنه كان فعلا بيبص لمراتي ساعتها.. فاكر؟ ده أنا ما انساش مرة دخلت تعمل لنا شاي وانتوا بتذاكروا وكان في إيدي كتاب عن فضائل أهل البيت عند الشيعة.. قوم الواد «عادل» الواطي، وفجأة ومن غير مقدمات يقول لي: عمو.. انت متجوز ولية لا مؤاخذة.. هههههه.

- هههههههه والله ما فاكر.

- انت كنت مركز في دنيتك.. إنما «عادل» كان زبالة.. والزفت سيد جوهار أبوه راخر كان خامورجي وما بيركعهاش.

- عموما هوَّ اتغير خالص يا شيخ عبرحمان.

- انصلح حاله يعني؟

- لأ.. بقى زبالة أكتر.. ههئ وبكرش.. هههههه.

- هههههههه.

* * *

هذا هو الاجتماع الثامن تقريبا بين «إبراهيم» و«لينين» حول ما توصل إليه «إبراهيم» في بحثه، وقد أعد «إبراهيم» الموضوع حتى الآن إعدادًا جيدًا أثنى عليه «لينين» وشرح «إبراهيم» لأستاذه خطواته المقبلة في التوغل أكثر في آراء الفلاسفة قبل الدخول إلى عالم الأديان، لكن «لينين» لفت نظره لإعادة الترتيب؛ حيث لاحظ أنه، وعلى الرغم من البدء بالفراعنة، دخل مباشرة إلى الفلاسفة متجاهلا معتقدات وحضارات قديمة أخرى لا تندرج تحت الأديان، ولكن لها باعا طويلا في عالم الروح، وهو ما بدأ «إبراهيم» في الرجوع إليه فعلا ليدخل دوامة جديدة من الخيال.

* * *

books-spring.com

- كلبة.. كلبة.. كلباااااااة.

- بطلي شتيمة يا «آية».

- يا «هدى» احمدي ربنا إني ما عضتكيش.. أنا قاعدة زي البُرطّة بدوَّر على سؤال عقر أسألهوله بعد كل محاضرة علشان بس يبص لي وانتي تقعدي معاه مرتين وتتبادلوا التليفونات.. وانتي يا «هدى» الوحيدة من بين تلامذتي اللي سمحت لها بالمستوى ده من التواصل.. يا حلاوة.

- انتي أصلا كل أفكارك في اتجاه دوني.. التقاء أفكاري مع «إبراهيم» ده ذو مستوى فكري فلسفي.. إيش فهمك انتي؟

- اتجاه دوني؟! أيوه.. أنا أفكاري كلها قاذورات كمان.. بس يا حبيبتي ما بضحكش على نفسي وأقول مستوى فكري ومستوى برعي بتوعك دول... واستني استني استني.. «إبراهيم».. انتوا شلتوا الكلفة؟

books-spring.com

- لأ لأ لأ.. ده على أساس إنه عَلَم.

- آه عَلَم.. تحيا مصر يا «هدى».

- لا حول ولا قوة إلا بالله.. تصدقي إني غلطانة إني حكيت لك.

- وكمان مش عايزة تحكي لي.. بت انتي.. من هنا ورايح كل كلمة تدور بينكم تقوليها لي.. الواد صحيح طالع من عيني.. بس أنا أفرحلك برضه.. إحنا في ديك اليوم لما نزغرط لك كده ونشرب العصير الخريش في فرحك.

لتمس كلمات «آية» في نفس «هدى» شيئا وتتلعثم في الكلام فتقاطعها «آية»:

- ياختشي، احمرينا يعني والدم هايبج من وشنا.. وترجعي تقولي لي حوار فلسفي.. ده يبقى حوار اللي يصدق إن الحمار ده فلسفي.. ههئ.

* * *

books-spring.com

- أيوه بقى يا ستي.. الفلوس وقعت لأ ضاعت لأ مش فاكرة.. وبعدين هتقولي الحقيقة ولّا مفيش مصروف لشهرين قدام؟ وابقي اركبي بقى يا حبيبتي المترو بالاشتراك وما تشربيش ولا تاكليش حاجة في الكلية ولا حتى تصوري ورق.

- يا بابا أنا اتدبست في عزومة قضت على المصروف بالكامل.

- أيوه كده.. هاتي م الآخر.. يعني عملتي عنتر على حسابي؟

- جرى إيه يا حاج.. هيَّ «هدى» عمرها صرفت قرش غير في مكانه.. ما كانتش مرة دي اللي هاتقطمها عليها.

- بس يا «هدية» لو سمحتي.. «هدى» بنت مسئولة وأنا بثق فيها.. امسكي يا «هدى».. ده نص المصروف بس.. وده مش عقاب والله.. إنما انتي عارفة إن أنا ما بحبش المفاجآت في موضوع الفلوس ده.. وعادي يا حبيبة أبوكي.. لو عاوزة تعزمي

books-spring.com

أصحابك.. بس قولي لي قبلها بكام يوم وانا أديلك اللي انتي عاوزاه.. ماشي؟ حلو كده يا «هدية»؟

- ربنا يخليك لينا يا حاج.

- ربنا يخليك ليَّ يا بابا يا جميل يا أعظم أب في الأبهات كلهم.

* * *

وقف «إبراهيم» باستعداداته المعتادة للمحاضرة ثم انطلق متحدثا:

- قامت فلسفة «هيوم» على عدم الثقة بالتأمل الفلسفي، لكنه آمن أن كل معرفة جديدة تأتي نتيجة للخبرة، وأن كل الخبرات لا توجد إلا في العقل على شكل وحدات فردية من الخبرة، وكان يعتقد أنّ كل ما مَرّ به الفرد مباشرة من خبرة لم يكن أكثر من محتويات شعوره الخاص، أو ما يتضمنه عقله الخاص. كما كان «هيوم»

books-spring.com

يعتقد بوجود عالم ما خارج منطقة الشعور الإنساني، ولكن لم يطرأ على ذهنه أنّ هذا الاعتقاد كان من الممكن إثباته.

ومن أراد التبحر فليقرأ الشكوكية؛ التجريبية.

أطلق «هيوم» على وحدات الخبرة الحيوية الفعّالة اسم المدركات الحسِّية، أما وحدات الخبرة الأقل حيوية وفعالية فقد أطلق عليها اسم المعتقدات أو الأفكار. فالكلمات والمدركات لها معانيها عند الشخص إذا كانت لها علاقة مباشرة بوحدات الخبرة هذه. وكانت كل وحدة من الخبرة منفصلة متميزة عن بقية الوحدات الأخرى جميعها، على الرغم من أن الوحدات عادة ما تُمارس وتُجرب على أنها مرتبطة بعضها ببعض. وطبقًا لما يراه «هيوم»، فقد ربطت ثلاثة مبادئ الأفكار المتحدة بعضها ببعض:

**1**- التشابه.

**2**- التّماس أو التجاور.

**3**- السبب والنتيجة (الأثر).

books-spring.com

ففي التشابه؛ إذا تشابهت وحدتان من الخبرة، فإن التفكير في واحدة قد يؤدي إلى التفكير في الأخرى. أما في حالة إذا ما تلازمت وتجاورت وحدتان، الواحدة مع الأخرى، فإن التفكير في واحدة قد يثير التفكير عن الأخرى. وفي حالة السبب والنتيجة، فإذا ما سبقت وحدة واحدة باستمرار وحدة أخرى، فإن فكرة الوحدة الأولى ستظهر في فكرة الوحدة الثانية. وقد اشتهر «هيوم» بهجومه على مبدأ السببية. ويقرر هذا المبدأ أنه لا يمكن أن يحدث أو يظهر إلى عالم الوجود شيء من غير سبب. وكان «هيوم» يعتقد أنه على الرغم من أن حدثًا واحدًا (مجموعة من الانطباعات) يسبق دائمًا حدثًا آخر، إلا أن هذا لا يثبت أن الحدث الأول سبّب الحدث الثاني. وقال «هيوم» كذلك: إن التزامن المتواصل بين حدثين ينشئ توقعًا بأن الحدث الثاني سوف يتم حدوثه بعد الأول. ولكن لم يكن هذا شيئًا أكثر من اعتقاد راسخ، أو عادة عقلية علمتنا إياها الخبرة، ولم يستطع أحد أن يبرهن أن هناك ارتباطات سببية بين الانطباعات،

books-spring.com

وقد بنى «هيوم» نظريته عن الأخلاقيات على الخبرة، رافضًا الرأي القائل بأن العقل في استطاعته التمييز بين الفضيلة والرذيلة. وقد فحص الظروف التي كان فيها الناس يتحدثون عن الأخلاقيات. وختم أقواله بأن الميزات الفاضلة عند الناس هي تلك التي كانت سائغة أو نافعة لهم. وكان «هيوم» يزعم أن الناس جميعًا يملكون عاطفة الخيرية؛ ومعناها الرغبة الطيبة، وأن هذه العاطفة كانت أساس الأحكام الأخلاقية.

نظر «إبراهيم» إلى الطلبة ولاحظ جحوظ بعض الأعين بما يعني عدم الاستيعاب أو صعوبة الفهم، فأردف قائلا:

– وكل الكلام اللي فات ده مالوش لازمة.

فلاحظ الارتياح الذي بدا على كثير من الوجوه فاستطرد:

– اللي له لازمة بجد بقى وموضوع عجيب هوَّ رأي ديفيد هيوم في الروح، اللي لو حد فينا اعتقده مش بعيد يتجنن رسمي.

books-spring.com

ازداد الطلاب تركيزا وبدأوا في الاستعداد لاستقبال المعلومة، فأردف «إبراهيم»:

- وده بقى هيكون موضوع محاضرتنا اللي جاية.. سلام.

* * *

بعد انتهاء المحاضرة، انتظر «إبراهيم» «هدى» هذه المرة، حتى إذا ما خرجت من المدرج أشار لها أن تتبعه لغرفة الأساتذة، وبالطبع لم تسلم «هدى» من نظرات ولمزات «آية» التي ودعتها قائلة: «ما تنسيش تخليه يرد لك العزومة».

وبالفعل دعا «إبراهيم» «هدى» لعزومة غداء خارج أسوار الجامعة وقد اصطحبها معه بسيارته هذه المرة، وعلى الرغم من انبهار «هدى» بالسيارة «البورش» الزهري فإن سعادتها بالعزومة كانت تفوق أي تفكير آخر، ومع انطلاق السيارة المكشوفة كادت طرحة

books-spring.com

«هدى» تطير وانتاب «هدى» الشعور بأن ما تمنته صار قريبا وكادت تقف فاتحة يديها للهواء وكأن بجوارها أحمد السقا ويعيشان حالة العشق والهوى، إلا أنها تذكرت أن ما هي فيه ما هو إلا حلم؛ فأستاذها ومعشوقها لم يحدثها حتى الآن إلا في الفلسفة.. فلماذا إذًا تبني قصورا من المشاعر معتقدة أنه قد يبادلها إياها في وقت ما؟ لكن ها هو يقوم بعزومتها على الغداء في كافيه مميز وراقٍ، أوَليس ذلك دليلا على الاهتمام؟

بعد جلوسهما في الكافيه الذي يقدم أطباقا وساندويتشات ومشروبات سألها «إبراهيم» عمَّا تحب أن تأكل فردت قائلة:

– انت اللي عازم يا دكتور.. اللي هتطلبه أنا موافقة عليه.

ولامت نفسها قليلا بعد الرد، محدثة نفسها أنها كان يجب أن تقول إنها تريد أن تأكل ما يحب هو وإن أي اختيار له ستحبه، وراجعت نفسها أنها لو قالت ذلك فكأنها تقول: «أنا بحبك»، فحمدت الله على الرد وانتبهت لـ«إبراهيم» وهو يحدث الجارسون:

books-spring.com

- هات لنا اتنين كودون بلو.. رايس سيرفد ويز سوتيه آند فرايز.

- وتحبوا تشربوا حاجة يا افندم؟

- أكيد، بس بعد الأكل.

- تؤمر يا افندم.. ربع ساعة ويكون جاهز.

- شكرا.

والتفت لـ«هدى» قائلا:

- عارفة يا «هدى» إيه سبب العزومة دي؟

فردت بلهفة تلقائية:

- إيه؟

- إني ما بحبش أبقى مديون لحد.

وعلى الرغم من أن الإحباط كان واضحا على وجهها وهي تقول:

- بس كده؟

لكنه قال:

- الحقيقة اللي أنا عاوز أوضحها لك إن المفروض المرة اللي فاتت كنت أصر إني أدفع الحساب وكنت ناوي على كده فعلا، بس فوجئت إني ناسي المحفظة بالكامل بكل الفلوس والكريديت كاردس، فسيبتك تدفعي على أساس إنك حلفتي وكده وفكرت والله بعدها أبعت لك الفلوس بأي طريقة بس أُحرجت.

- وأُحرجت ليه يا دكتور؟ ما كنت تبعتهم، ولّا أقول لك.. إحنا لسه فيها.. ادفع بقى.

- هوَّ فيه حاجة زعلتك في كلامي يا «هدى»؟

- حضرتك شايف إنك قلت حاجة تزعل؟

- أبدا بالعكس.. أنا كل قصدي إني أرد العزومة.. على فكرة أنا كنت سعيد جدًّا بالنقاش اللي دار بيننا المرة اللي فاتت وكنت حابب نكمل كلامنا.. نادر لما الواحد يلاقي شباب قارئ وفاهم وعارف يتناقش في الفلسفة بالذات حتى من اللي بيدرسوها.

books-spring.com

نجح «إبراهيم» في تحويل دفة الحوار إلى نقاش فلسفي حول الآراء المختلفة في العقائد واستمرت الجلسة طويلا، غير أنها انتهت هذه المرة بمساحة كبيرة من الود والتلاطف بينه وبين «هدى»، ما أزعجه وأرضى غرورها.

* * *

في مساء الأربعاء، وفي أثناء انهماك «إبراهيم» في البحث بين صفحات «النت» والمراجع، سمع صوت هاتفه المحمول فرفعه قبالته وابتسم لرؤية اسم «عادل».

– ههههه.. عدّول.. رغم إنه مش وقتك خالص.. بس مكالمتك في وقتها مظبوط.

books-spring.com

- مش فاهم يا «هيمو» يا فلسفون انت.. مش وقتك ووقتك.. الكلام فيه حاجات عكس بعضها وانا مش فايق.. هتفسر ولّا هتقصر؟

- أصل أنا قاعد مركز قوي في بحثي وبدون نتايج مهمة؛ فاتصالك مش في وقته.. إنما اللحظة اللي انت رنيت فيها كنت واقف عند جملة بقراها بتقول «وحيث اتصال الجموح بالفلسفة قد يؤدي للجنون».. فرنيت سعادتك.

- يا سلام.. وانا مش هخرجك من الحالة اللي انت فيها يا فيلسوف.. ومن الآخر الجموح اللي انت بتوصفني بيه ده هوَّ سبب المكالمة.. فاضي بكرة وبعده وبعده؟

- أهو الجنون بدأ أهه.. ممكن أبقى فاضي.. على حسب.

- ما فيهاش يا معلم.. طالبة معايا إسكندرية.. راشق؟

- راشق يا سيدي.. بس انت جبت راشق دي منين؟ هما شهرين في مصر يظبطوا اللغة كده؟

books-spring.com

- المهم انك راشق.. نطلع بعربيتك الكحيانة ولّا عربيتي؟

- عربيتك طبعا.. أنا مش بحب السواقة في السفر أصلا.

- أوووووووكاااااااااااااي.. سي يو تومورو آت سكس.

أغلق «إبراهيم» محموله منتشيا مع دخول الشيخ «عبد الرحمن» غرفته وفي يده كوبان من النسكافيه الساخن، ولاحظ «إبراهيم» أن عمه عابس الوجه بعض الشيء على الرغم من تصنعه الابتسام فجلسا معًا مع تناول النسكافيه.. وبعد بعض كلمات الاطمئنان الخاوية المعهودة..

- ما لك يا شيخ عبرحمان؟ فيك حاجة مش مظبوطة.

- مش عارف.. صدري مخنوق وكنت قاعد بره حسيت إني باخد نفسي بصعوبة.. قمت فتحت إزاز البلكونة وخدت نفس عميق من هوا الشتا الصيفي اللي إحنا عايشين فيه ده وعملت النسكافيه وجيت أتكلم معاك.

- سلامتك.. تحب نروح لدكتور بكرة؟ أنا صحيح لسة مظبط يومين في إسكندرية مع «عادل» حبيبك.. هههه.. إنما نلغيهم علشان خاطر عيونك.

- لا.. مالوش لازمة.. أنا قلقان عليك انت يا «هيمه».. حاسس إني لو جرالي حاجة حياتك من بعدي ممكن تبقى صعبة.

- ليه بس كده؟ انت زي الفل يا حجيجة.

- ههه.. أنا عاوزك تتجوز يا «إبراهيم».

- امممممممم... لا بص يا عمي بقى لو هيَّ دي الحكاية يبقى انت ما تعطلش نفسك وودع الدنيا وما تقلقش عليَّ.. هههههههه.

- أنا بتكلم جد يا «إبراهيم».. ما تعملش زيي.. أنا عشت حياتي كلها مقفول على نفسي واتجوزت كبير واختياري كان للأسف مش مظبوط.. حبيت أعوَّض الانطلاق اللي حرمت نفسي منه طول عمري فاتجوزت واحدة منفتحة زيادة عن اللزوم.. وانت عارف النتيجة.. كفاية عليك كده يا «إبراهيم».. هات واحدة بنت حلال

تونسك وتملا عليك البيت.. أكل بيتي ونومة مرتاحة وهدمة نضيفة وأولاد يغيروا الدنيا من حواليك.. اسمع نصيحتي يا «إبراهيم».. أحلف لك بالله.. أنا عمري ما حبيت في حياتي حد قد ما حبيتك ولا حتى نفسي، وعمري ما اتمنيت السعادة لحد في الدنيا قد ما اتمنيتها لك.

وقف «إبراهيم» وقبَّل رأس الشيخ «عبد الرحمن» ووعده بالتفكير واستسلما لحديث الذكريات الذي استمر حتى موعد «عادل».

* * *

– ألن تعترف؟ ستموت.. ستموت.

– آه آه.. لا لا.. الموت يهون ولكن الحق لا يموت.

«إبراهيم» مصلوب على قائم خشبي شبه عارٍ والكرابيج تنزل على ظهره ورقبته.. كرابيج مؤلمة.. يتعذب ولا يزال على موقفه الذي لا

books-spring.com

يعلمه.. وها هو الألم يقل ويشعر بالسكينة المصحوبة بألم آخر لا يدري وصفه.. ولكنه يشعر به.. ألم رهيب مع راحة غريبة.. أيقن أنها لحظة مفارقة روحه لجسده.. فارقت روحه جسده بالفعل وتيقن من ذلك؛ حيث وجد نفسه يشاهد منظره من أعلى وقد توقف سجانه عن الضرب وأزاحوه من فوق صليبه ومددوه على الأرض وتبادلوا التهكم حول مصيره الذي آل إليه بسبب عناده..

- وماذا بعدُ؟

سأل «إبراهيم» نفسه هذا السؤال، لكنه لم يلبث أن وجد روحه داخل جسده مرة أخرى وهو يجلس في حانة صاخبة ذات رائحة نتنة وحوله أجانب يرتدون ملابس غريبة لينظر في مرآة أمامه خلف الساقي ليرى ملامحه وقد تبدلت لملامح امرأة عجوز تضع الكثير من المساحيق التي لا تناسب عمرها الستيني وفي يدها كأس الخمر.. استغرب «إبراهيم» شكله متسائلا: أين أنا؟ من أنا؟ ولم تطل حيرته طويلا؛ حيث دار شجار بين رجلين في المكان يتحدثان

books-spring.com

بلغة لا يعرفها ظن أنها الإسبانية.. وانطلق الرجل الأول ليسحب إليه فتاة شبه عارية من أحضان الثاني الذي لم يلبث أن كسر زجاجة الخمر واندفع ليقتل الأول، لكن الأول انحرف من مكانه بسرعة لتخطئه الضربة وتستقر في رقبة المرأة اللعوب العجوز (إبراهيم).. وها هي روحه تفارق المكان مرة أخرى.. ليجد نفسه منطلقا في صحراء مترامية يجري ويثير الرمال التي تنطلق نحو وجهه ولا تؤذي عينيه المفتوحتين، وانتبه أنه مركوب وملجوم ويستجيب لأمر راكبه الذي يتحدث الفرنسية صائحا وهو يضربه بقوة: «انطلق.. انطلق».. لم يعجبه الحال وتوقف فجأة، لكن سرعته الجنونية غلبته فسقط وسقط من يعتليه.. غير أن سقوط «إبراهيم» قد تسبب في اعوجاج رقبته الطويلة، ما أدى لاختناقه.. لتفارق الروح جسد الفرس المنطلقة.. ليجد نفسه يرى من زاوية سفلى مجموعة من الرجال يجلسون في مقهى قديم ويلعبون ويتسامرون مع صوت مذياع عالٍ.. لم يجرؤ «إبراهيم» على

books-spring.com

الحركة؛ حيث بدا الجالسون أمامه وعامل القهوة الذي يتحرك بينهم كعمالقة.. يستطيع الواحد منهم أن يدهسه بقدمه.. وانتبه لرجل يقترب منه، واضعا أمامه صحنا صغيرا مليئا باللبن وشيء مفتت في داخله، ليركز «إبراهيم» في ملامح الوجه العملاق الذي ينظر إليه قائلا: «بِس.. بِس».. لم يفهم «إبراهيم» شيئا غير فزعه، إلا أنه وجد نفسه جائعا فمد يده ليتناول الصحن وكانت المفاجأة؛ حيث يده الصغيرة كثيفة الشعر ولها مخالب.. ليدرك ما آل إليه حاله ويصيح بقوة: «أنا قطة.. أنا قطة.. أنا قطة» ليفيق هذه المرة وهو يردد: «أنا قطة.. أنا قطة» ليجد وجه عادل جوهار ناظرا إليه بابتسامة تعلوها الدهشة.. ليقلب «إبراهيم» نظره حوله ويدرك أنه داخل الفندق في الإسكندرية ويعود فينظر لوجه «عادل» الذي يقول له:

– ازيك يا قطة؟ ده حلم بقى ولّا كابوس ولّا إيه؟ لبِّشتني الله يخرب بيتك.. وانا اللي قلت أول ما نصحى هننزل نعلق قطتين من ع

books-spring.com

الكورنيش ونيجي نظبط.. أتاري معايا قطة في الأوضة وانا مش داري.. هههههه.

- هيَّ الساعة كام يا «عادل»؟

- تسعة بالليل.. إحنا نايمين بقالنا بتاع **6** ساعات.. يلّا قوم اتشطف وننزل نتسنكح شوية بقى.. إحنا مش هنقضيها نوم.. وبعدين لما نرجع كل واحد ينزل في أوضة يا عم.. ده انت بقالك بتاع عشر دقايق مطلع عيني.. عمال تترعش وتتنفض وتصرخ وتصهل وتضحك وانا بحاول أصحيك ومفيش فايدة.. ده أنا كنت بعذبك عشان تصحى.. ضربتك بكل حاجة في الأوضة وأخيرا تفوق وانت عمال تزعق: أنا قطة أنا قطة.. ده انت مش قطة.. ده انت جزمة قديمة.

- هههههههه.. أصل أنا كنت بفكر قبل ما أنام في الروح عند البوذيين.. هما مؤمنين إن الروح شيء سامي بتنتقل من جسد لجسد حوالي خمسين مرة قبل ما تُبعث على الهيئة الكاملة وتعيش في

books-spring.com

النعيم في الآخر بعد ما تكون نقية نتيجة تنقلها من إنسان لطائر لحيوان فيما يسمى بالـ«الكارما وكسر دورة الحياة والانبعاث».. وهكذا.

- ماشي يا روح خالتك.. يلّا ننزل نلحقلنا مُزتين قبل ما يتحولوا ويطيروا.. إحنا كل اللي قاعدينهم يومين... وشكلهم هيبقوا يومين أشباح بسببك.. ده أنا خايف دلوقتي بعد ما اظبطلك واحدة جامدة نصبح الصبح ألاقيك واكلها وبقك عمال يشرشب دم وعمال تقول: هييه.. أنا أسد أنا أسد.

- لا يا عم.. ماليش فيه.. إحنا ننزل نتمشى ع البحر في المطرة.. وناكل.. وبعدين ظبط انت لنفسك اللي انت عايزها وخدوا أوضة تانية وسيبوني مع أشباحي.

- هوَّ انت مالكشي في الحكاية ولّا إيه؟ عمرك ما هنكرت كده وارتكبت الفشحاء؟

- حاولت مع واحد صاحبي قبل كده.

- واحد صاحبك؟ إخص.. مانا برضه بقول..

- افهم يا حمار انت.. حاولت زي مانت بتحاول كده.. من حوالي **10** سنين.. أنا وعماد حنا علقنا بنتين من الديسكو بتاع فندق شبرد في وسط البلد.. الفندق الوحيد اللي ممكن تدخل الديسكو بتاعه سنجل.. ومش لازم تشرب خمور.. المهم.. عمي كان في بورسعيد وبعد ما أخدناهم ع البيت عندي وكنا موضبين كل حاجة ومنضفين الشقة اللي فوق علشان كل واحد يبقى في شقة لوحده.. أخد «عماد» البنت اللي معاه وطلع على فوق.. وأخدت أنا البت التانية «رودي».. وشغلنا أغنية شعبية وهيَّ بترقص عليها وبتقلع..

- أيوه بقى.. قول يا سيدي قول.

- ما تفرحش قوي كده.. هيَّ كانت عايشة الحالة دي تمام للآخر وأنا سرحان في الجنس.

- الجنس.. يا جماله.

books-spring.com

- سرحان في الجنس كمعنى مجرد.. يعني هل المتعة اللي بتحصل عليها البنت دي متعة حقيقية كاملة.. ولّا دي لزوم الشغل علشان تاخد قرشين وخلاص وهي بتتعذب من جوه من امتهانها لجسدها للدرجة دي؟

- امتهانها لجسدها؟ امم.. آه.. هايل.. وبعدين يا فيلسوف الندامة.. شاركت بقى في امتهان جسدها ولّا ما حبتش تمتهن جسدك؟

- فعلا.. ما قدرتش أهين جسدي وأنحدر للمستوى ده من إشباع الرغبة الحيوانية.. حسيت إني هبقى زي الطور اللي بيشمشم ورا أي بقرة ويروح ناطط.. حاجة قذرة جدا.

- وطبعا قلت لها الكلام المحترم ده.

- مش كله.

- إيه؟ يخرب بيتك.

- أيوه.. قضينا الليلة كما لو كنت وكيل نيابة أو دكتور نفساني عمال أسألها عن الدوافع اللي دفعتها لكده.. وهل بتحصل على متعة من ذلك ولّا لأ.

- وهيَّ استجابت للاعترافات الليلية بتاعتك بالبساطة دي؟

- جدا، وكانت سعيدة لأني قبل ما ابدأ الكلام اديت لها خمسميت جنيه وقلتلها ندردش شوية بيهم.. طارت م الفرح.. وبعد ما خلصنا كلام قالت لي إنها مستعدة تيجي تتكلم معايا كل يوم للصبح وتاخد خمسين جنيه بس.

- وطبعا رفضت.

- لأ.. قبلت.. وقلت أقضي الأربع أيام اللي الشيخ عبرحمان مسافر فيهم معاها.. و«عماد» كان هيتهبل لما اكتشف أنها بتجيلي كل يوم.. وبقى يقول لي: «يا جامد.. واضح إنك عملت شغل عالي خلى البت مش قادرة تستغنى عنك»..

books-spring.com

- ومفيش ولا مرة كده النزعة الذكورية الذئبية غلبتك في الكام يوم دول؟

- مرة واحدة بس في اليوم الرابع.. وعمي راجع بكرة.. ولما استعديت للحكاية وقبل ما اعرفها نيتي.. اكتشفت إنها في اليوم ده بالذات.. عندها مانع.. هههههه.

- هههههههههه.. هههههههه.. آه يا فقري.

- آه.. وخلصت الحكاية.. وتوتة توتة.. بس أنا كتبت كل الكلام اللي دار بيني وبين «رودي» واستخلصت منه مجموعة مقالات عن الرغبة والجسد كتبتهم في مجلة المانشيت اللي كانت بتصدر عن دار البرج في الوقت ده واللي كان كل قراءها مهتمين بالفلسفة وما استمريتش غير حوالي سنة ونص وقفلت ودار البرج فلست.

- لازم تفلس طبعا.. فلسفة إيه يا معلم؟ كنتوا اعملوها مجلة عن الغرائز.. كان زمانها مستمرة.

- يلّا ننزل.. أنا جعان.

books-spring.com

- يلّا يا قطة.. قطة مين بقى.. ده انت بطة.

* * *

في اليوم التالي، وحيث استيقظ «إبراهيم» مبكرا وتناول الإفطار واستمر في بحثه على «اللاب» يقرأ ويدوّن حتى تناول الغداء.. بينما «عادل» في غرفة أخرى ما زال مستغرقا في النوم بعد ليلة لم تنتهِ إلا السابعة صباحا قضاها مع فتاة استطاع أن يلتقطها من أحد المطاعم ليلا.. وفي تمام السادسة مساءً كان «إبراهيم» يشرب الشاي مع «عادل» في مطعم الفندق..

- هوَّ انت بتعرف البنات دول إزاي؟ يعني بتميز بين البنت اللي هتوافق تيجي معاك واللي مش هتوافق منين يا «دوله»؟

- أنا بعتبر نفسي خبير وعندي نظرة ثاقبة في الموضوع ده.. انت بتعرف تلعب بلياردو؟

books-spring.com

- أيوه.. اشمعنى؟

- وانت بتستعد تضرب الكورة البيضة، بتبص على الترابيزة كلها، ومن نظرة واحدة بتعرف الكورة اللي هتقع في البوكيت والكورة اللي ممكن تقربها بس من البوكيت وده آخرك والكورة اللي لو اتنططت وعملت إفيهات الدنيا مش هتقع.. هيَّ كده.. سِنس عالي.. إنما أنا ما نمتش غير تسعة الصبح وانا بفكر فيك انت.

- خير؟

- ما فكرتش تقتل قبل كده يا «هيمو»؟

- نعم.. أقتل؟ مش فاهم!

- تقتل أي حاجة.. وتشوف روحها وهيَّ بتطلع.

- لأ ما فكرتش.. وبعدين تفتكر هشوف إيه يعني؟

- ما اعرفش.. بس الحياة ما ينفعش تمشي رتيبة كده وكلها أبحاث نظري.. أنا لازم أشتغل الحاجة بإيدي علشان أستمتع وأستوعب كمان.. إنما قراية قراية قراية.. إيه الهطل ده؟

books-spring.com

- وتفتكر لو أنا قتلت حد أو حاجة.. هفهم حاجة جديدة يعني؟

- حتى لو لأ.. جرب.. هتخسر إيه؟

- مش جايز أتشنق؟

- يا سيدي مش لازم تقتل بني آدم.. وممكن تطلب إنك تحضر حالات إعدام مثلا وتاخد جواب من الكلية.. وحتى لو قتلت بني آدم وشنقوك.. هتعرف بنفسك إيه اللي بيحصل بعد كده.. أنا أعتقد إن الشخص اللي رايح يتعدم ده وعارف إنه هيموت في اللحظة دي أفضل من أي حد بيموت وهو مش عارف إنه هيموت.. دي رفاهية يقدر كل واحد فيها يقرر هوَّ هيموت على أنهي أفكار ومعتقدات.

وهكذا انتهى هذا الحوار ليترك أثرا في نفس «إبراهيم» لم يستطع التخلص منه أبدا.

* * *

books-spring.com

لقد حذر الشيخ عبد الرحمن غالي ابن أخيه وولده وحبيبه «إبراهيم» مرارا من مصاحبة عادل جوهار الذي أثَّر على «إبراهيم» بالفعل ليكون أول ضحايا «إبراهيم» هو الشيخ «عبد الرحمن» نفسه.

لم يقتل «إبراهيم» عمه وإنما فقط تركه يموت أمام عينيه رافعا يده مستنجدا به واليد الأخرى على صدره الذي لا يساعده لالتقاط أنفاسه..

وقف «إبراهيم» أمام عمه المستلقي على أرض الصالة الباردة الواسعة في جوف ليلة ممطرة ينظر إلى عمه وعيناه جاحظتان في فزع وهو يفارق الحياة مستمتعا برؤيته وهو يعاني ويتحول لون وجهه إلى الاحمرار الشديد ثم السواد الشديد من فعل انفجار الأوعية الدموية المغذية للرأس ثم ليتحول جسده بالكامل إلى الزرقة التي تابع «إبراهيم» درجاتها بالكامل طيلة تسع ساعات قضاها جالسا أمام جثة عمه قبل أن يفيق ويبدأ في إجراءات استخراج الأوراق والدفن.

books-spring.com

والعجيب أن «إبراهيم»، بعد وفاة عمه، لم يكن حزينا لموقفه، بل كان كل ما يشغل تفكيره هو كيفية تكرار هذه اللحظة التي يرى فيها من يفارقون الحياة دون أن يحاول أن يحول بينهم وبين ذلك، معتقدا أن حارس السماء بلا حول ولا قوة في هذه الحالة وسيتقبل الروح الصاعدة إليه رغمًا عنه ولن يستطيع ردها.. فكيف تأتي هذه الصدفة مرة أخرى؟ وهل يجب أن تكون صدفة أم أنه يستطيع التخطيط لها؟

* * *

– أجازة.. يعني إيه أجازة؟ وهوَّ من حق أي مدرس في الجامعة إنه ياخد أجازة كده في أي وقت؟

– يا «هدى» يا حبيبتي بيقولوا عمه مات.. وبعدين خلاص يعني مش قادرة على بُعده أسبوعين اتنين؟

books-spring.com

- لأ يا «آية».. أنا بتكلم عن الدراسة.

- يا حبيبتي محاضراته هياخدها أستاذ فتح الله.. وأنا مبسوطة الصراحة، هوَّ أستاذ المادة.. وبيلخص وبيجيب م الآخر وبنعرف مطلوب مننا إيه في الامتحان ونخلص... صحيح هيوحشنا ابن الوسيمة ده.. بس هوَّ يعني هيروح فين.. ما هو لازم يرجع، إذا ما كانش علشان المحاضرات يبقى علشان البحث بتاعه.

لم تستطع «هدى» التوقف عن التفكير في «إبراهيم» وأخذتها حالة من العاطفة الأمومية وتصورت أنها يجب أن تكون بجانبه في هذا الظرف وقررت أن تحدثه في التليفون ليأتيها صوته هادئا:

- ألو.. أيوه يا «هدى»، إزيك عاملة إيه؟

- أنا كويسة والله يا أستاذ «إبراهيم».. البقاء لله.. انت اللي عامل إيه؟ أتمنى تكون بخير.

- أنا تمام.. متشكر لاهتمامك.

- عاوزة أشوف حضرتك.. ممكن؟

books-spring.com

- ممكن طبعا، بس بعد أسبوع كده.. عندي شوية مشاغل وإجراءات.. نتقابل الأسبوع اللي جاي.

- ماشي يا دكتور... لا إله إلا الله.

- ماشي يا «هدى».. باي باي.

لتغلق محمولها متعجبة من عدم رده: محمد رسول الله.

* * *

فوَّض «إبراهيم» محاميا في جميع الإجراءات ولم يشغل باله بها وإنما ظل في بيته لا يغادره إلا لالتقاط قطة أو كلب من الشارع وخصص لها عدة غرف بطابق منزله الثالث.. زوَّدها بفتحات في أبوابها من أعلى؛ حيث يستطيع المراقبة، بل والتصوير أحيانًا.. وقد قرر البدء في متابعة موتها فرادى أو مجموعات ليدون ملاحظاته بعد أن تركها بلا غذاء ولم يقطع عنه ذلك بعد يومين من البدء إلا

books-spring.com

زيارة من عماد حنا الذي جلس في أريحية في صالة المنزل بالشقة السفلية معلنًا تعجبه من أصوات العواء والنحيب المزعجة التي تملأ المكان، بينما كان «إبراهيم» متعجلا إنهاء اللقاء ليظل قابعا في الدور الثالث يتنقل بين النظر على قط يحتضر أو كلب يموت أو كلب يبدأ في التهام الكلب الذي يعيش معه في محبسه.

استمر «إبراهيم» في متابعته وتدويناته التي اكتشف بعد فترة أن بينها بعض الروابط؛ فقد وجد في الاحتضار والموت بين جميع حيواناته، بل وفي حالة عمه أيضا، أشياء مشتركة، لكنه وعلى الرغم من متعته بمتابعة الموت ودخوله في حالة من القوة النفسية المبالغ فيها، الناجمة عن قتله للبعض وإعطاء البعض الآخر مهلة أخرى للحياة بإلقاء بعض الماء أو الأكل لها.. فإنه ظل مفتونا بنظرة عمه الفزعة في أثناء الموت، متمنيا إعادة التجربة مرة أخرى على بني البشر؛ حيث لم يحظَ بنظرة مشابهة أبدا في بني الحيوان.

books-spring.com

* * *

في كامل هيئته وبثقة أكثر مما مضى، وقف «إبراهيم» يلقي محاضرته بعد عودته من الإجازة، معلنًا في البداية أن امتحان التيرم الأول قد اقترب وأن عليهم الاهتمام بما يرد في محاضرات الأستاذ فتح الله للحصول على النتائج المرغوبة وأنه بمحاضراته يفتح لهم مجالات الفهم والبحث فقط.. ويستمر في محاضرته متحدثا عن الروح في الهندوسية بمصطلحاتها العجيبة: «جيف ومايا وموشكا ونيرفانا والانبعاث وحالة التيقظ التي تخمُد معها نيران العوامل التي تسبب الآلام مثل الشهوة والحقد والجهل».. لكنه لم يقتصر في محاضرته على ذلك؛ فأنهاها برغبته في المحاضرة المقبلة في الرجوع مرة أخرى للروح لدى قدماء المصريين، وأعلن – بلا مواربة – ولعه بشخصية فرعون الذي اعتقد أنه يستطيع أن

books-spring.com

يُحيِي ويُميت؛ لأنه كان يقتل من يريد أن يميته ويترك من يريد أن يحييه.

وتعجبت «هدى» من هذا التصريح الذي لا يتفق مع الدين الذي تربت عليه والذي لم يستطع نفس الفرعون فيه أن يأتي بالشمس من المغرب فبُهت الذي كفر.. وحاولت أن تجتمع مرة أخرى بـ«إبراهيم» إلا أنه اعتذر لها ووعدها بجلسة مطولة في إجازة التيرم متعللا بحرصه على وقتها في هذا التوقيت من العام الذي يرى أنها يجب أن تذاكر فيه لتصبح خليفة له ولأستاذه «لينين».

* * *

– البقية في حياتك يا «هيمو».. إيه يا عم.. مش تقول من ساعة الوفاة كنا عملنا معاك الواجب.

– اطمن يا «دوله».. انت عملت الواجب وزيادة.

books-spring.com

– مش فاهمك على فكرة.. انت بتتريق ولّا بتقطمني ولّا إيه؟ أنا لسة عارف منك حالا إن الشيخ عبرحمان فلسع وما كنتش هتأخر عنك لو عرفت قبل كده.

– سيبك يا «عادل».. أنا مش بلومك.. انت أخبارك إيه؟

– لسة جاي من عند واحد ابن صاحب مصنع عاوزين نعمل عنده قطعة غيار لمكنة قديمة في مصنعنا.. المصريين دول جمال قوي يا أخي.. قطعة الغيار دي لا ليها كتالوج ولا رسم.. يقوم البيه الحمار اللي أنا كنت وافقت إنه يعمل القطعة دي بتسع تلاف جنيه عاوز يعمل ناصح ويقول لي لأ هنعملها بتلاتاشر ألف جنيه مع ضمان المطابقة.. طبعا أنا وافقت فورا وهوَّ اللي رجع في كلامه بعد مهندس المشتريات بتاعه ما قال له إنه حمار.

– مهندس المشتريات قال لصاحب المصنع إنه حمار؟

– القصد إنه أبدى انزعاجه الشديد من اللي الشاب ابن صاحب المصنع قاله وفهمه إنه كده هيخسر مش هيكسب.. بس الواد

books-spring.com

المهندس ده معلم.. لأنه عرض إنه يعمل عينة على شيتات مش على فلانشات الأول قبل ما يعمل لنا القطعة اللي إحنا عايزينها.

- ممتاز.

- انت فاهم حاجة؟

- لأ طبعا.. بس شكله كلام كويس.. هههه.

- أنا غلطان أصلا إني بتكلم مع واحد أدبي أساسا.

- كمل يا عم.. هحاول افهم.

- القطعة دي ليها فتحات بتوزع الهوا في المكنة اللي بتحول الرمل لغزل زجاجي.. زي ماكينة غزل البنات كده.. والشاب فاكر إنها حاجة سهلة ومش عارف إنه مهما طلب فلوس مش هياخد ولا مليم إلا لو القطعة اشتغلت من غير غلطة والغزل طلع سليم مش مقطع.. فهمت كده؟

- يعني.. مش مهم.. وانا مالي أصلا.. مش انت مبسوط؟

books-spring.com

- لأ مش مبسوط من كم الفهلوة والحداقة الفارغة اللي في البلد دي.. كل واحد عامل نفسه أستاذ في شغلته ومفيش حد فاهم حاجة.. أنا بفكر أرجع أمريكا.

- وتسيبني؟

- نعم؟ إيه؟ هتفتقدني؟

- لأ مش القصد.. بس طالما كده كده مفارق ما تيجي أقتلك.. واهو ع الأقل أستفيد وانا بتفرج على روحك وهيَّ بتطلع.

- انت بتقول إيه يا «إبراهيم»؟

- مش ده كلامك يا «دوله»؟ وبعدين ساعتها انت عارف إنك هتموت.. وهتمتلك رفاهية القرار الخاص بالموت على أي معتقد.

- انت لسة فاكر؟ ده أنا كنت بهيس.

- أنا بقى ما بهيسش.. وانت صاحبي ولازم تساعدني.. احجز طيارتك وبعد ما تاخد ختم المغادرة على أمريكا جوّه المطار اخرج تاني، وساعتها ما حدش هيعرف عنك حاجة.. الجريمة الكاملة يا

books-spring.com

معلم.. وما تخافش أنا مش هاعذبك كتير قبل ما تموت.. وهادفنك في الجنينة زي القطط والكلاب.

- «هيمو».. انت اتهبلت؟

- أبدا.. أنا بتكلم جد.

- وأنا موافق يا سيدي.. أول ما أقرر إني عاوز أنتحر هبقى أجيلك تموتني وساعتها هبقى أسيب جواب يعفيك من المسئولية.. اتفقنا؟

- اتفقنا.

- يابن المجنونة.

* * *

استمر «إبراهيم» في تدوين ملاحظاته عن لحظات مفارقة الحياة وازداد إحساسه في القوة المتفجرة داخله وتذكر ما قرأ من قبل عن أحادية الروح لديفيد هيوم ومعتقده عن وحدانيته الكونية وذاته وأن

books-spring.com

كل ما حوله من نتاج خيالاته وليس له وجود حقيقي، فازداد اقتناعه بأن الكون كله مسخَّر لعقله هو وأنه هو من قتل كل من ماتوا من قبل في حياته.. أمه وهي تلده وأبوه و«ماسة» وعمه.. وأخذ يفكر في اللحظة التي يستطيع أن يرى روحا إنسانية أخرى وهي تفارق الحياة حتى كان يوم عيد ميلاده الذي قرر فيه عماد حنا أن يحتفل به ويقوم بعزومته على العشاء مع إعداد تورتة وموسيقى مفاجأة له.. أراد «عماد» أن يسعد «إبراهيم» وأن يخرجه من الحالة التي شعر أنه وصل إليها، معتقدا أنه قد يغير موقفه من الحياة إذا وجد من يهتم به.. وفي أثناء عودتهما من العشاء..

– اهدا شوية يا «إبراهيم»، انت طاير بالعربية كده ليه؟

– انت أسعدتني النهارده يا عمدة بالحفلة الجميلة دي.. بس كنت قل لي.. كان زماني عزمت «لينين» و«عادل» و«هدى».

– يا سيدي ملحوقة.. يوم الخميس الجاي نعمل لك حفلة ونعزم فيها كل الناس دي.

books-spring.com

- أقول لك على حاجة يا «عماد»؟

- قول يا «إبراهيم».

- أنا حاسس إن أنا اللي قتلت كل الناس اللي ماتوا في حياتي دول.

- هههههه.. هوَّ انت ممكن تكون نحس بس.. وأول ما حد بيعمل معاك حاجة كويسة بيموت.

- حاجة كويسة؟

- أيوه.. افتكر معايا كده.. أمك ماتت بعد ما ولدتك.. وأبوك مات بعد ما فسحك في مطروح.. وعمك مات بعد ما سهر معاك ليلة طول الليل يقول لك إنه بيحبك ويتمنى لك الرضا ترضى.

- على كده بقى انت هتموت دلوقتي.. هههههه.

لم يكد «إبراهيم» ينهي كلمته وهو ينظر لـ«عماد» حتى التفت للطريق فوجد سيارة نقل تخترق الطريق من الجانب الآخر وقد فقد قائدها السيطرة عليها.. وحاول «إبراهيم» أن يفاديها بكل استطاعته

books-spring.com

ولم يستطِع فاصطدمت بها سيارته وانقلبت.. لينجح «إبراهيم» من الخروج من نافذته ويستدير قبالة الجانب الذي يجلس به «عماد» والسيارة مقلوبة و«عماد» بداخلها يمد يده لـ«إبراهيم» في فزع لينقذه وقد بدا عليه الألم الشديد من شدة ضغط السيارة المهشمة على جانبه.. ركز «إبراهيم» نظره على «عماد» منتظرا اللحظة الخاتمة له، غير أن «عماد» أطلق صرخة مدوية: «الحقني يا إبراهيم».. أفاق «إبراهيم» على أثرها بعد أن مرت أمامه ذكريات كثيرة كان فيها «عماد» نعم الأخ والصديق فانطلق ينقذه.. ومع تجمع الناس ومساعدتهم استطاعوا إخراج «عماد» وإيداعه داخل سيارة إسعاف ليجلس «إبراهيم» على الرصيف منخرطا في البكاء مرددا:

- عمي الشيخ عبرحمان مات.

* * *

books-spring.com

داخل غرفة المستشفى، حيث يرقد «عماد» ويكاد جسده يكون مغطى بالكامل بالشاش، جلس «إبراهيم» بجانبه ممسكا بأصابع يده اليمنى البارزة من الجبس ودموعه تنهمر ليفتح «عماد» عينيه ويرى «إبراهيم» على هذه الحالة فيبتسم كأنما قد حقق هدفه ويغمض عينيه مرة أخرى ليستسلم لغيبوبة استمرت لثلاثة أيام قبل أن يبدأ في استعادة عافيته، ظل «إبراهيم» خلالها دائم الوجود بجواره دائم البكاء على الشيخ «عبد الرحمن».

* * *

كان لحادث «عماد» أثر بالغ في نفس «إبراهيم»؛ حيث راجع حساباته وجلس لأيام يؤنب نفسه ويوبخها نادما على ما فعله مع عمه الحبيب، وبعد أيام من المعاناة والتخبط والمحاولة البائسة لتعويض ما فاته باسترجاع ذكرياته مع عمه في الصور والتدوينات،

books-spring.com

بل وقراءة بعض كتب عمه المفضلة، ليجد في كتاب من كتب عمه جملة كتبها عمه في الهامش: «إن موضوع بحث (إبراهيم) عن الروح قد يفقده إيمانه وقد يفقده عقله.. إن الله عز وجل قد دعانا للتفكر في خلقه، والخلق مادة، وحينما ذكر سبحانه الروح لم يدعنا للتفكر فيها وإنما دعانا للكف عن البحث عنها في قوله: (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلا قَلِيلا)».

وهكذا نحا «إبراهيم» منحًى آخر في حياته وأهمل موضوعه وقرر أن يتجه من فوره إلى ربه ليستغفره عمَّا بدر منه تجاه عمه وتجاه حيوانات ضعيفة لم يطعمها ولم يتركها تأكل من خشاش الأرض، وقد استغل فرصة إجازة التيرم ليأخذ إجازة من الكلية ويداوم على التردد على مجالس العلم الديني في المساجد وترك لحيته بغير اعتناء واستسلم في البداية للاستماع والإنصات واكتشف مدى بُعده الشديد عن دينه، كما اكتشف الكثير من المواطن المحببة إلى قلبه والتي تشبع رغباته الفلسفية داخل كتاب الله وأصبح مولعا بسورتي

books-spring.com

النجم والكهف وكاد يحفظ سورتي مريم ويوسف، وقد وجد في جلسات تفسير القرآن الكثير من المعاني التي تتفق مع قناعاته، بل وتتفق مع قناعات الكثير من الفلاسفة، حتى الملحدين منهم والعلمانيين.. ومضت أيام من الاستغفار والتوبة والذوبان في المعاني القرآنية الرفيعة.. إلا أن «إبراهيم» قد عاد ثانية لإعمال فلسفته فيما يسمع وانطلق يفكر فيما يتلقى باعتبار أمور الدين فلسفية في الأساس ولم يخلُ الأمر بالطبع من بعض النقاشات بينه وبين المشايخ في بعض الأمور، حتى إنه عند تفسير الآية **30** من سورة البقرة «وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ»، جلس يجادل الشيخ في اعتقاده أن هناك خلقا آخر قبل الإنسان علم من خلاله الملائكة ما سيكون من الإنسان من مفاسد وسفك للدماء وأن التسليم بأن الجن هم ذلك الخلق لا يستقيم مع سفك الدماء.. وعبثا حاول الشيخ أن

books-spring.com

يقنعه بأن العلم هو ما أعطاه الله للملائكة مسبقا وأنهم يعلمون ما سيكون مما علَّمهم الله، إلا أنه لم ينفك يجادل هنا وهناك ويفلسف الأمور الدينية بما يزعج المشايخ في بعض الأحيان.

* * *

انتظمت الدراسة بعد إجازة التيرم.. وأضاف «إبراهيم» بُعدا روحيا إلى محاضراته وأصبح يكرر التنبيه على أن إعمال العقل بشكل مطلق ليس صحيحا، وإنما العقل من التعقل، والتعقل هو التحجيم والربط، ومنه العقال.. وأنه يجب على دارسي الفلسفة أن يدركوا أن العلم مهما تقدم فهو قاصر ولن نصل يوما لكمال العلم الذي لا يتمتع به سوى الله.. وعلى العكس مما توقع؛ حيث اعتقد أن مثل هذا النهج قد يفض عنه معجبيه، إلا أنهم ازدادوا به تعلقا وشغفا، خاصة طالبته النجيبة «هدى» التي أصبحت أشد ولعا به؛ فقد

books-spring.com

ظهرت أرضية مشتركة جديدة بينهما.. وازدادت غيرة «آية» من «هدى» وبدأت تختلق المشاكل مع صاحبتها بعد أن لاحظت مساحة العمق التي تزداد يوما بعد يوم في علاقة «إبراهيم» بـ«هدى»؛ حيث ازدادت بالفعل لقاءات «هدى» بـ«إبراهيم» وأصبحت علاقتهما أكثر ودا.. واعترف «إبراهيم» بينه وبين نفسه أنه قد بدأ يميل لـ«هدى» بالفعل عاقدا العزم على أن ينفذ وصية عمه ويتزوج.. لم تتمكن «هدى» من قلبه كما كانت «ماسة»، وإنما اقتربت بشكل كبير من الصورة النموذجية التي قد وضعها لنفسه منذ أمد بعيد، وأضيفت إليها عاطفة جياشة تظهر في حديثها الودود كما تظهر في إنصاتها الشغوف لكل كلماته لها.. وبدا له واضحا أن الطريق صار ممهدا ليفاتحها في الارتباط، وبدأ يفكر في الأسرة والمنزل والدفء العائلي، غير أنه قد قرر أن يمهل نفسه فرصة إلى انتهاء العام الدراسي لكي ينهي جزءا من بحثه الذي ينتظره أستاذه «لينين» ولكي لا يشغلها هي الأخرى عن دراستها.

books-spring.com

* * *

استمر «إبراهيم» في المحاولة في البحث عن الانضباط الفكري وتحجيم العقل مع شعور متنامٍ بالذنب تجاه عمه الراحل الذي يزداد عمقا يوميا بسبب الأحلام التي تطارده في أثناء نومه؛ حيث يرى عمه أحيانا يستصرخه لينقذه وأحيانا يعاتبه شفاهة أو بالنظرات.. وكانت الأحلام الأكثر قسوة على نفس «إبراهيم»، التي توقظه باكيا بحرقة، هي تلك الأحلام التي تحمل ذكرياته بعمه؛ حيث يراه جالسا بجوار سريره يقرأ له قصة قبل النوم ثم يقبِّل جبينه ويُحكم غطاءه.. أو يراه يلاعبه الراكيت على شاطئ البحر، ويراه يتشاجر معه حول غسل المواعين وعمل الشاي بعد الغداء.. غير أن «إبراهيم» وسط ذلك، وقبل نهاية العام الدراسي بأيام وفي أثناء جلوسه في حلقة علم في أحد المساجد، وحيث الشيخ المتحدث يفسر بعض الآيات من

books-spring.com

سورة الأعراف حيث قوله تعالى: «وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ» إذا بـ«إبراهيم» ينتبه بشدة ويقاطع الشيخ بعد قراءته الآية متسائلا:

- ده حصل إمتى؟ وفين يا فضيلة الشيخ؟

- ليس في زمان محدد يا «إبراهيم»، إلا أنه قبل بدء الخلق، ويصح أن يكون بعد خلق «آدم»، واختلفت روايات المكان، لكن الأقرب للإجماع أنه أرض المحشر.

- يعني إحنا كلنا.. كل الخلق.. اجتمعوا وشهدوا بربوبية الله، عز وجل؟

- نعم.. صحيح.

- بأجسامنا وأرواحنا؟

- أرواحنا أكيد.. إنما أجسامنا مش أكيد؛ حيث ذكر الله أنه جمع الذرية ولم يذكر هيئتها..

books-spring.com

ليدخل «إبراهيم» لمعنى لم يرد على خاطره من قبلُ ويستسلم له معتنقا فكرة جديدة طرأت برأسه تتعلق بخلود الروح منذ الأمد وإلى الأبد لينطلق إلى أفق جديد في بحثه للتعمق في دراسة الروح في الإسلام، سالكا في ذلك كل المسالك، مُصرًّا على البحث في كل المذاهب.

وها هو الدكتور مصطفى محمود يطل عليه بالكثير والكثير من المعاني الخاصة بالنفس، التي تدلل بكل الصور الممكنة على أننا حينما نتحدث عن الروح المجهولة أصلا إنما نتحدث عن النفس.. فالله يتوفى الأنفس في منامها.. والنفس اللوامة.. والنفس وتسويتها وإلهامها الفجور والتقوى.. النفس.. النفس.. النفس.. مصطفى محمود يرى أن النفس هي ما أطلقنا عليه الروح اصطلاحا، بينما الروح هي منسوبة لله قصرا.. «فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي».. «فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا» (5).. وهكذا دخل «إبراهيم» في معترك جديد مع مصطفى محمود، الكاتب المبدع والعالم رفيع

الشأن، ولم يخرجه من هذا المعترك إلا معترك أقوى مع الشيخ محمد متولي الشعراوي ليدخل معه في دوامة من التفكير في هذا العالَم الذي أطلق عليه الشيخ «عالم الذَرِّ».

عالم الذر عند الشيخ الشعراوي.. العالم في خمائر تكوينه.. أوَليس بنو آدم هم أبناء آدم؟ كيف نأخذ من ظهرهم ذريتهم فيكون من أخذناهم هم من أخذنا منهم؟ ليأتي الحديث الشريف شارحا الآية؛ إذ يوضح أن الذرية قد أُخذت من ظهر آدم، عليه السلام.. وذلك لأن ظهور بني آدم وظهر آدم متداخلة، وحيث ضرب الشيخ مثالا للإنسان بأنه من أصل ميكروب حي انفصل عن أبيه الذي انفصل ميكروبه الحي أيضا عن جده الذي انفصل ميكروبه الحي بالمثل عن أبي جده.. وهكذا، وبالتالي فحياتنا الذرية قائمة منذ خلق آدم، بمعنى أن كل حي فينا فيه حياة موصولة لـ«آدم» وفيه جزء موصول لـ«آدم».. وضرب الشيخ لذلك مثالا آخر يتعلق بقارورة ماء نقية إذا وضعنا بها سنتيمترا مكعبا واحدا من مادة ملونة

books-spring.com

ورججناها بشدة، لأصبحت كل قطرة ماء تحوي جزيئا من هذه المادة، فإذا ما وضعنا الماء في برميل وأحسنَّا الرج ثم وضعنا ماء البرميل في ماء البحر وأحسنا الرج فإن كل قطرة ماء في هذا البحر ستحوي جزيء المادة الملونة.. وهكذا، نحن كالمادة الملونة في ظهر «آدم» – عليه السلام – وحياتنا ممتدة منذ «آدم»، والجزيء المادي ممتد هو الآخر منذ «آدم».. فصح أن يكون الله – عز وجل – قد أخذ هذا السنتيمتر الذري من ظهر «آدم» مخاطبا إياه: ألست بربكم؟ قالوا: بلى.. مفسرا بذلك الآيات في سورة الأعراف، مضيفا أن الربوبية هي الإلف الأول والإلف المصاحب عندما يمس الإنسان الضر..

ومع قراءات «إبراهيم» الأخرى عن الروح وتنقله بين مصطفى محمود وعوالم من ظنوا أنهم غادروا الحياة ثم عادوا إليها مع تلك الصورة للنفق المضاء آخره والراحة العجيبة ورؤيتهم لأنفسهم من أعلى وهم ممددون بعد الموت، وبين قراءته للروح عند «ابن القيم»

books-spring.com

وأساطير من زاروا أحباءهم بعد موتهم في مناماتهم، مخبرين إياهم عن أمور ما بعد الموت.. وبعد أن تعارك «إبراهيم» ذاتيا مع معاني الشيخ الشعراوي وأوردها جميعًا في بحثه، قرر أن يتعمق في دراسة الروح لدى الصوفيين، وهو ما نقله نقلة أخرى أثرت على عقله وأدخلته عالما آخر من الخيال اللامحدود في قدرات الروح..

قرأ في الصوفية أن عالم الروح عالم غيبي من أمر الله تعالى، والروح شيء قوي مدرك قادر على التشكل في صور مختلفة متعددة.

والكتب السماوية، والسنة النبوية، مشحونة بالأدلة والأمثلة على ذلك من وجهة نظرهم.

* * *

books-spring.com

بجلباب أبيض وغطاء رأس أبيض، يجلس «إبراهيم» في حلقة بمسجد السيدة جويرية بمصر القديمة، ويتحدث الشيخ أبو حافظ – شيخ الطريقة الكركرية – مع حاضري الحلقة:

– .. فالقرآن الكريم قد صرَّح بأن جبرائيل – عليه السلام – قد تمثل للسيدة مريم العذراء بشرا سويا..

ولقد جاءت الملائكة أيضا في صورة آدمية في قصة «إبراهيم» و «لوط».

ولقد تنزلت الملائكة في غزوة بدر الكبرى تقاتل في صفوف المسلمين.

وظهر أيضا الروح الأمين لصحابة النبي – صلى الله عليه وسلم – في صورة سيدنا دحية الكلبي، حتى جلس إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – يسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة وعلاماتها بألفاظ حسية سمعها الصحابة – رضوان الله عليهم أجمعين..

books-spring.com

ولم يشك أحد منهم أنه غير آدمي، لولا أن أعلمهم الرسول – صلى الله عليه وسلم – بأنه جبريل جاءهم ليعلمهم دينهم، وقد ثبت أن النبي – صلى الله عليه وسلم – رأى أخاه «موسى» – عليه السلام – قائما يصلي في قبره، ثم رآه مرة أخرى في المسجد الأقصى يصلي خلفه، واجتمع به مرة ثالثة يتردد بينه وبين ربه في العالم العلوي.

لينهي الشيخ حديثه وينفضّ الجمع إلا من «إبراهيم» الذي يظل جالسا فينظر له الشيخ أبو حافظ قائلا:

– انت منتظر شيء معين يابني؟

– أستسمحك يا فضيلة الشيخ.. أنا عاوز أفهم.. أو بمعنى أدق.. حابب أكون من متصوفي الكركرية.

– وفين المشكلة؟

– إزاي بقى يعني أبقى واحد منكم؟

books-spring.com

- واحد مننا... هههههه.. إحنا مين يا ابني؟ إحنا مجرد عباد لله نتبع المذهب الشافعي السني الحنيف.. وعموما، الطريقة الكركرية ببساطة تمتاز بملازمة السنة في الأقوال والأفعال والأحوال وسهولة الفتح أو سرعته؛ فالمريد في هذه الطريقة يفتح الله عليه في أقرب مدة وأسرع وقت بفضل الله تعالى.. إنها طريقة اسم الله الأعظم المكنون، التي تمزج بين الجذب والسلوك، وبين الفناء والبقاء؛ فتلميذها فانٍ باق في الوقت نفسه، إنها طريقة مبنية على التيسير؛ حيث تعلمك شهود المنة عليك، الترقي فيها لا نهاية له؛ لأنه ترقٍّ في مراتب الاسم الجامع.. وهي طريقة تجمع جميع مدارس التصوف ومشاربه، فتجد فيها تصوف الفقيه، وتصوف العابد، وتصوف المنطقي والحكيم والطبيعي، كل واحد يجد فيها مشربه الذي يلائمه.

- ماشي يعني أقرا كتب معينة.. أعمل طقوس مثلا؟

books-spring.com

- قدامك أسبوعين تعمل فيهم اللي هقول لك عليه وبعد كده هنحط جدول مع بعض باليوم والساعة تلتزم بيه إلى أن يفتح الله عليك.. وأهم حاجة خلال الأسبوعين دول: المرقعة.

- هههههه.. المرقعة إزاي يعني؟

لترتسم الجدية الغاضبة على وجه الشيخ، ما يحرج «إبراهيم».

- انت بتضحك على إيه؟

- لا، أصل المرقعة دي محسساني بالخلاعة يعني..

- المرقعة ده لبس.

- لبس؟

- أيوه.. عبارة عن مجموعة من الأثواب المختلفة، ولكل ثوب لون خاص به، وعدد هذه الألوان ينبغي أن يكون اثني عشر لونا، فتجمع قطع هذه الأثواب ويخاط بها جلباب، يلبسه المريد. والمرقعة من الوسائل التربوية التي اعتمدها سيدنا عمر الفاروق في تزكية نفسه؛ فالنفس أكبر قاطع عن الله، فينبغي كبح رعوناتها والتخلص

books-spring.com

من أمراضها، والمرقعة من الوسائل التي تعين على هذا الهدف، وهي رسالة حب لكل الخلق، وقد لبسها الكثير من العلماء والأولياء في تاريخ هذه الأمة، كالغزالي والذهبي والسخاوي والسيوطي وابن عجيبة الحسني.

- خلاص يا فضيلة الشيخ.. هاتمرقع.

- وخذ مني هذه النصيحة: استحقر نفسك وعظّم غيرك، والزم قبرك ولا تنبش في قبور الآخرين.

- أساسي طبعا.

* * *

فوق سطوح منزله العالي، جلس «إبراهيم» متربعا وبدأ في الاهتزاز يمينا ويسارا مرددا:

books-spring.com

– هو هو هو.. الله الله الله... هو هو هو.. الله الله الله... هو هو هو.. الله الله الله... اللهم صلِّ على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لم سبق، وناصر الحق بالحق... اللهم صلِّ على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لم سبق، وناصر الحق بالحق... اللهم صلِّ على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لم سبق، وناصر الحق بالحق.. اللهم صلِّ وسلم على عين الرحمة الربانية، والياقوتة المتحققة الحائطة بمركز الفهوم والمعاني، ونور الأكوان المتكونة.. اللهم صلِّ وسلم على عين الرحمة الربانية، والياقوتة المتحققة الحائطة بمركز الفهوم والمعاني، ونور الأكوان المتكونة.. اللهم صلِّ وسلم على عين الرحمة الربانية، والياقوتة المتحققة الحائطة بمركز الفهوم والمعاني، ونور الأكوان المتكونة..

وأخذ يكرر ويكرر منذ شروق الشمس وحتى قبيل العصر، حيث موعد الاجتماع في الصلاة التي تتبعها الحضرة؛ حيث أمره الشيخ بمداومة التسبيح والمحافظة على الخلوة التي هي مكان يختلي فيه

books-spring.com

المريد أياما لذكر الله، مخبرا إياه أن الخلوة تمكِّن المريد من جمع همته على الحق، فيتعلم فيها عزل القالب عن الكائنات حتى لا يشغله شيء، ومن ثم يفرغ قلبه لتلقي الواردات والتجليات التي تصله من قلب شيخه... فاتبع «إبراهيم» ذلك هائما منتظرا الفتوحات والكرامات وانطلاق الروح.. ملتزما كذلك بالمرقعة التي كلما تذكر اسمها - حتى لو كان منهمكا في الذكر - انفجر ضاحكا.

* * *

لم يستمر «إبراهيم» سوى ثلاثة أسابيع ملتزما بمنهج الكركرية، خاصة أنه كان يخشى أن يراه أحد تلامذته وهو «متمرقع» بينما لم يخشَ من قبلُ على صورته أبدا.. انتقل إلى مسجد آخر وطريقة

books-spring.com

أخرى هي الطريقة القادرية؛ حيث جلس في مسجد سيدي المنياوي بالدراسة بين يدي الشيخ أبو المكارم مستمعا..

- ويروي لنا الإمام مسلم في صحيحه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رأى موسى بن عمران بالحجاز يركب ناقة حمراء بخطام من ليف وسمعه يجهر بالتلبية، كل هذا والحقيقة واحدة، والمقام الروحي الأمري لم يزل كما خلقه الله تعالى، وإنما ذلك إشعاع نوراني قد تجسَّم وتمثل في صور مختلفة ويسمى «عالم المثال أو الخيال»، ويقول الطبيعيون إنه بالوهم يخلق كل إنسان في قوة خياله ما لا وجود له إلا فيها، وينصفون لو قالوا: إنها قوة غريبة يسلطها صاحب الهمة على أي شيء يريد وجوده فيحدث ذلك الشيء فورا بسبق الإرادة الإلهية، ويسمى هذا الحال عند المتكلمين «الإخلاص» وعند المريدين «الحضور».. والروح يمكنها - بإذن الله تعالى - أن تنقل الأشياء، وأن تخترق الحجب إلى بُعد شاسع.. يحدثنا الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة - رضي الله عنه -

books-spring.com

عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ فَسَأَلَتْنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أَثْبِتْهَا فَكُرِبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مِثْلَها قَطُّ». قَالَ: «فَرَفَعَهُ اللهُ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُهم بِهِ».. والعلم الحديث قد كشف نقل الأجسام من مسافات بعيدة وتحويل المادة المجسمة بقوة التيار الكهربي إلى إشعاع ذري غير مرئي، وبالمثل فللروح أثر الكهرباء في المادة، فبها يمكن تحويلها إلى إشعاع ذري أيضا بسرعة البرق، كما أن لها قوة إعادة هذه الإشعاعات إلى أجسام مادية تظهر مثالها أو في مثال آخر بأي مكان في الأرض لأشكال مختلفة.. ولقد قصَّ علينا القرآن الكريم ذلك حقيقة واقعية في نقل الرائحة من قميص يوسف الصديق – عزيز مصر – لأبيه يعقوب بن إسحاق بأرض كنعان في الشام. وكذلك عرش بلقيس العظيم – ملكة سبأ باليمن – إلى الأرض المقدسة، ونقله قبل ارتداد طرفة العين واستقراره في منزل سليمان بن داود – عليهما الصلاة والسلام

books-spring.com

- وإذا كان العصر الحديث قد استطاع فيه الإنسان التحكم في الحركة ونقل المادة والصوت والصورة بالريموت كنترول.. فإذا كان هذا من عمل أيدينا ومن خلقنا وثمرات عقولنا ففعل الأرواح التي هي من أمر الله وسره أقوى أثرا وأشد عجبا من فعل الأشباح المادية.

حاول «إبراهيم» جاهدا أن يصل بروحه إلى هذا السمو الفائق، بينما لم يحدث ذلك مطلقا ولا حتى في أحلامه، وصُدم حينما سأل الشيخ أبو المكارم عن الوقت المتوقَّع فيه أن يستطيع أن يتحكم في روحه إلى هذا المدى؛ حيث أخبره الشيخ أن ذلك قد يحدث بعد يوم من التزام الخلوة أو بعد عشرين سنة أو لا يحدث مطلقا، بحسب قرب المريد من النقاء المطلوب.

إن «إبراهيم»، بعد مجالسته لشيوخ الصوفية وهيامه أيامًا بينهم، قد اتخذ مسلكًا جديدًا في بحثه؛ حيث قرر أن يقتحم عالم الروح من زاوية جديدة، وها هو يفعل ما لم يجُل بخاطره فعله يومًا.

books-spring.com

* * *

في غرفة مظلمة.. حتى شباكها الوحيد مغطًّى بستائر سوداء.. جلس «إبراهيم» متأملا ما يحدث.. لا يتكلم ولا يتحرك ولا يضع ساقا فوق ساق.. كان عددهم ستة أشخاص.. ثم ما لبث أن استجاب لوضع يديه في أيدي من هم على يمينه وعلى يساره.. والجميع أصبحوا في هذا الوضع حول مائدة بيضاوية مغطاة بمفرش أحمر وحيث الإضاءة تنبعث من تسع شمعات منتشرة حولهم وأمام كل شمعة لوح زجاجي أحمر.. وبدأوا جميعًا – كما هو متفق عليه – بصوت واضح معًا مرددين: «عزيزنا.. جئنا إليك بالهدايا من الحياة إلى الموت.. تواصل معنا وتنقل بيننا». ويكررون ذلك حتى تسري أول رعشة في جسد الوسيط، ليبدأ كل منهم في توجيه الأسئلة بالتتابع عليه؛ حيث كان من المتَّبع أن يسأل كل

books-spring.com

منهم سؤالا للروح الحاضرة لا يحتمل سوى الإجابة بنعم أو لا، فإذا كانت الإجابة بنعم سمعوا صوت خبطة واحدة وإذا جاءت بلا سمعوا خبطتين، حتى إذا استأنست بهم الروح.. سارت رعشة أكبر في جسد الوسيط ليستطيع بعدها أن يجيبهم بصوت الروح الحاضرة عمَّا يريدون مباشرة.. وهكذا مرت أول جلسة من جلسات تحضير الأرواح على «إبراهيم» واتضح في نهايتها أن الروح التي حضرت هي روح عالم في الكيمياء لم يهتم «إبراهيم» بأن يعرف عنه شيئا؛ فقد كانت هذه الجلسة بالنسبة له استكشافية لا أكثر، وإنما ما شغله هو الجلسة التالية؛ حيث يريد أن يقوم بتحضير روح أحد من يعرفهم وكان مترددا في اختيار الروح التي يريد تحضيرها.

وقبل أن يجهِّز لهذه الجلسة، بدأ في القراءة المستفيضة عن تحضير الأرواح.. في البداية، استعان بكتاب في مكتبة عمه، هو كتاب «الإسلام في عصر العلم» للأستاذ محمد فريد وجدي، فإذا به يجد هذا الرجل من القائلين، بل والمؤمنين، بإمكانية تحضير الأرواح

books-spring.com

عبر وسيط والحديث معها، مستدلاً بأقوال مفكرين غربيين، معتبرًا أقوالهم الحق المبين الذي كسر الجهل في عصر العلم، وتعجب كيف أن رجلاً مثل «محمد فريد وجدي» مقتنع بذلك وهو الرجل الذي أسس مجلة الأزهر الإسلامية التي ما زالت تصدر حتى الآن وفي مواضيعها ما يناقض ذلك شكلا وموضوعا.. ومع قراءة بعض الكتب الغربية بدأت الفكرة تتشبث بعقله أكثر وأكثر.. وحاول أن يقرأ في تاريخ تحضير الأرواح قديما وحديثا ففوجئ بما نُشر كفضيحة مدوية نشرتها جريدة «الأهرام» **(4/5/1971)** حول اشتغال رجال القمة من الساسة المصريين، ومن كبار معاوني «عبد الناصر»، بتحضير الأرواح، ومنهم وزير الحربية، الفريق أول محمد فوزي، وسامي شرف – سكرتير «عبد الناصر» للمعلومات – وشعراوي جمعة – وزير الداخلية. وكان الوسيط بين هؤلاء والأرواح أستاذا جامعيا. وحسب رواية حسنين هيكل، فإن هؤلاء كانوا يقومون بسؤال الجن للحصول على إجابات تتعلق بالوضع العسكري والسياسي!!

books-spring.com

بل إن الكاتب «أنيس منصور» – وهو من أكبر مروِّجي فكرة تحضير الأرواح – يذكر أن السفير المصري في جاكرتا، وطاقم السفارة هناك، بما فيهم الملحق العسكري والملحق الصحفي، كانوا يقومون بتحضير الأرواح بالسلَّة. وشرح لقرائه في جريدة «أخبار اليوم» كيف يمكن لأي قارئ أن يقوم بذلك بسهولة في بيته، ويستحضر من يريد من الأرواح بقليل من البخور! ولم يكتفِ «منصور» بترويج «تكنولوجيا الأرواح» هذه، بل ذهب إلى تقديم «مساهمة نظرية» في «علم الأرواح».. وهذا ما دعاه لإعادة قراءة كتب أنيس منصور المتعلقة بالأرواح بالكامل.. فانطلق بعدها مطمئنا يسعى للجلسة التالية.

* * *

books-spring.com

- أنا مش قادر أستوعب انت إزاي ممكن تصدق الخزعبلات دي يا «إبراهيم».

- اسكت بس يا عمدة وادي إحنا رايحين وهتشوف بنفسك.

- يا عم ارحمني.. أنا لو الروح حضرت ممكن يحدث ما لا يُحمد عقباه.. وانا ما معييش غيارات.

- هههههه.. يا جبان.

- وهتحضّر روح مين بقى إن شاء الله؟

- «ألفت».

- «ألفت».. مرات عمك؟ هيَّ ماتت؟

- من كام سنة كده قابلت أختها صدفة وسألتها عليها قالت لي ماتت.

- واشمعنى «ألفت»؟

- الصراحة خايف أحضر روح أي حد تاني فاتأثر بالموقف وما اعرفش أسأل كل الأسئلة اللي في دماغي.

books-spring.com

- وبعيد بقى بيت الأشباح اللي إحنا رايحينه ده؟

- في بلد اسمها أطفيح.

- يا نهار اسود.. كويس إن إحنا واخدين عربية عمك الدبابة دي.

- إحنا هنركنها عند الكمين اللي بعد حلوان ونتحرك من غيرها.

- ليه بقى كده؟

- الراجل اللي من أطفيح قال لي: لو جيت بالعربية هترجع من غيرها.

- كمان لبش.

- بطل فزع واستمتع بالتجربة.

- تجربة إيه الله يخرب بيتك.. أنا فاكر مرة عملتها على روحي وانا داخل بيتكم اللي هوَّ أصلا كان بيرعبني من غير حاجة.

- إمتى ده؟

- واحنا في أولى ثانوي.. كنت جاي عندك بالليل ولجل حظي النور كان مقطوع ومرات عمك العزيزة اللي إحنا رايحين نحضر

books-spring.com

روحها حست بيَّ وانا بتحسس السلم علشان اطلع.. كتر خيرها حبت تنور لي ففتحت الشراعة ووقفت وراها وهيَّ ماسكة شمعة.

- هههههههههه.. يا نهار اسود.

- أهه.. أكيد انت متخيل أنا حصل لي إيه.. تخيل في وسط الضلمة وانا طالع ألاقي الشراعة مفتوحة وواحدة ماسكالي شمعة تحت وشها أبو مناخير كبيرة دي وفاتحة بقها ع الآخر وبتضحك.. أنا نزلت جري يابا وروحت غيَّرت وما جيتلكش بعد كده غير لما الشيخ عبرحمان طلقها.. لأ وانت عاوزني أحضر معاك تحضير روحها.. يا حلولّي.

* * *

وبالفعل.. تم تحضير الروح المطلوبة، وعلى الرغم من أن الوسيط رجل في الخمسين، فإن صوته قد تحول بالفعل لصوت «ألفت» كما

books-spring.com

يتذكره «إبراهيم»، غير أن «إبراهيم» قد تعجب منذ البداية وفقد حماسته وتصديقه للحدث؛ حيث أتاه صوت «ألفت» يحمل الكثير من الود، وهو ما لم يتوقعه؛ حيث كانت علاقتهما سيئة على الدوام، ثم إنها لم تتحدث سوى عن عذاب قليل تعرضت له بعد موتها وأن عمه الشيخ «عبد الرحمن» سعيد في مثواه، وكذلك أبوه وأمه، وعند السؤال عن أشياء محددة يعرفها «إبراهيم» عن «ألفت» جاءت الإجابات عامة ولا تحوي أي شيء يؤكد وجود روح «ألفت» فعلا.. خرج «إبراهيم» من الجلسة شبه موقن أن العملية يشوبها الدجل والسحر، بل والنصب، بينما خرج «عماد» منها مصدقا تماما كل ما دار، سائلا «إبراهيم» عن تكلفة الجلسة؛ حيث نوى – بينه وبين نفسه – أن يحضِّر روح أمه التي اشتاق إليها.

* * *

books-spring.com

- أستاذ «إبراهيم».. قل لي بصراحة ومن غير أي تحوير.. انت إحساسك بيَّ زي ما هوّ واصل لي كده ولّا أنا بحلم وبتمنى؟

- شوفي يا «هدى».. أنا ما انكرش إني بميل ليكي وكمان فكرت في الارتباط بيكي وواخد الموضوع على محمل الجد.. بس مش عاوز أكدب عليكي بكلام الحب والغرام.

- تكدب عليَّ إزاي؟ صحيح أنا مبسوطة جدًّا إنك بتفكر في الارتباط بيَّ.. بس من غير حب؟ يعني انت ما بتحبنيش؟

- أنا خدت قرار من زمان يا «هدى» إني ما اتعلقش بحد أكتر من اللازم.. عقدة عندي فيها ذكريات كتير كلها بتأكد معنى واحد.. تقدري تقولي كده إني مقتنع إن أنا شؤم على أي حد بحبه..

- يعني انت مش عايز تحبني علشان خايف عليَّ؟

- هههه.. بالظبط كده.. بس صدقيني.. انتي أقرب حد لقلبي دلوقتي من الناس اللي يهموني في الدنيا دي.. خافي على نفسك بقى.

books-spring.com

- إن شاء الله هتحبني ومش هيحصل أي حاجة من الكلام ده.. هتيجي تقابل بابا إمتى؟

- هيحصل يا «هدى».. بس أنا مقابلك النهارده علشان نتناقش في حاجة مهمة جدا.. الروح عند الصوفيين.

- الصوفيين.. ليه؟

- عندهم أفكار تكاد تقترب من أفكار البوذيين.. تخيلي.

- أتخيل طبعا.. الصوفيين بيعتقدوا إن الإنسان لو امتلك الصفاء والنقاء الكامل ممكن روحه تنطلق وتتجسد وتؤمر فتطاع.. بس ما حدش منهم قدر يثبت ده بشكل عملي أو يعمل بنفسه حاجة تبقى دليل واضح على ده.

- ده انتي قارية فعلا.

- انشغلت بيهم فترة وبعدين حسيت كلام كتير مش منطقي.

- بس بيستشهدوا بآيات وأحاديث.

books-spring.com

- والشيعة بيستشهدوا بآيات وأحاديث، والوهابيين كذلك.. حتى القرآنيين بيستشهدوا بآيات لإنكار السنة.. إنما إحنا ملتزمين بأهل السنة والجماعة يا دكتور.

- دكتور.. ممكن قدام الطلبة.. إنما بعد كده أنا «إبراهيم» وبس.

لم تستطع «هدى» أن تداري فرحتها التي بدت على وجهها وردت قائلة:

- ماشي يا.. يا.. «إبراهيم».

- عاوز أضيفك ع «الفيس» كمان.

- مانا عندك أصلا.. هوَّ انت مش عارف؟

- عندي؟ هوَّ انتي اسمك إيه ع «الفيس»؟

- «هدى بنت هدية».

- آه.. وهدية ليه بقى؟ غرور ولّا تناكة؟

- لا ده ولا ده.. أنا أمي اسمها «هدية».

- هههههه.. بس كده؟

- بس كده.

* * *

في مكتبة بوسط المدينة، حيث «إبراهيم» يتنقل بين عدد من الرفوف لاختيار بعض الكتب، وبعد الانتهاء من اختيار مجموعة من الكتب العربية والغربية عن موضوعه الحالي «تحضير الأرواح»، واقتنائها بالفعل وعقله يفكر في «ألفت» وهل من الضروري تكرار التجربة أم يجب عليه أن يكتفي بهذا القدر.. وفي أثناء خروجه منها؛ إذ يصطدم بسيدة محجبة ضخمة في الخمسين من عمرها وإن كان يبدو عليها أصغر من ذلك بسبب تبرجها (ماكياجها) الزائد.

- سوري يا افندم.

- «إبراهيم».. ما شاء الله ده انت كبرت قوي.

books-spring.com

- نعم؟ حضرتك تعرفيني؟

- يخرب عقلك.. انت مش عارفني؟

- يخرب عقلي.. لأ عرفتك.. بس!!

- بس إيه؟

- هوَّ انتي ما متيش؟

- لأ مت.. هههههه.. لسة جلنف زي مانت.. إيه اللي خلاك تفتكرني مُت؟

- أختك.. قابلتها من فترة قالت لي إنك مُتي.

- آه.. لأ أصل إحنا متقاطعين من زمان.. الشيخ «عبد الرحمن» أخباره إيه؟

- مات.

- لا حول الله.. كان طيب ومحترم والله.. هوَّ ظلمني صحيح بس إحنا أساسا ما كناش لبعض... أنا متجوزة ومخلفة على فكرة.

books-spring.com

- بالتوفيق.. بس أنا عاوز أسألك سؤال كده وخديني على قد عقلي معلش.

- خير؟

- هوَّ انتي ما حلمتيش بيَّ قريب؟

ليثير السؤال شيئا من الاستغراب الشديد والربكة يظهران في ملامح «ألفت» وجحوظ عينيها وهي ترد بسرعة:

- آه.. حلمت بيك من يومين وكانت ليلة غريبة كلها كوابيس.. أنا مش فاكرة حاجة من الحلم غير صورتك القديمة وضلمة مفيهاش غير نور أحمر بسيط قوي وأصوات رجالة كتير.. وكل ما انام ألاقي حاجات غريبة وقطط.. كانت ليلة عجيبة قوي..

بس إزاي انت جه في بالك إني حلمت بيك؟

- لا أبدا.. أصل أنا كمان حلمت بيكي.

- واهو الحلم اتفسر.. عاوزاك تزورني بقى ونوصل الود تاني.. انت اتجوزت؟

books-spring.com

- لأ.

- هايل.. أنا عندي عروسة زي القمر.. شبهي.. وانت عارفني بقى في شبابي.. ههههي هئ.

- هههههههههههههه.. ماشي يا ست «ألفت».. هابقى أجيلك.

- «ألفت».... يااااااه.. تصدق إنك عمرك ما نطقت اسمي وانت صغير.

- كلنا كبرنا.. وكويس إنك اتبسطتي إني قلته دلوقتي.

- طبعا اتبسطت.. واتبسطت كمان إن أنا شفتك والله.

- الأيام بتغير.

- كتيييييير..

وتبادلا التليفونات وافترقا، بينما هي سعيدة باللقاء مع الأماني الغريبة للعريس الغني لابنتها، أما «إبراهيم» فقد أيقن أن تحضير الأرواح ما هو إلا درب من دروب النصب، الذي يفتقد حتى

books-spring.com

الكفاءة، بينما شغله أيضا حلمها الذي توافق مع وقت تحضير روحها المزعومة.

* * *

- عندي ليك تجربة تانية هتخلي روحك تطير زي العصافير يا قطة.

- يخرب بيتك يا «عادل».. انت مش هتهبط غير لما تودیني في داهية.

- في دي عندك حق يا «هيمو».. لو طاوعتني ممكن نروح في داهية فعلا.

- قول يا سيدي.

- بس الأول انت صرفت نظر عن موضوع قتلي ده ولّا لسة؟

books-spring.com

- هوَّ أنا كنت صرفت نظر.. بس احتمال أغير رأيي بعد اقتراحاتك.. سمعني.

- الحشيش يا معلم.

- يا حلاوة.

- قعدة حشيش مع شوية ميَّه.

- ميَّه.

- أيوه.. خمرة يعني.. وقرصين تلاتة كيميا.. روحك هتبقى في السحاب.. ومش بعيد تقابل حارس البوابة بتاعك ده شخصيا.. وتضربه كمان لو حبيت.

- آه.. ومش بعيد أفطس برضه.

- وماله؟ هتقابله برضه.

- هههههه.. إياك تقابله انت يا أخي وأستريح منك.. ده انت إبليس.

- جرب انت بس واحكيلي.

books-spring.com

- وهجيب الحاجات دي منين بقى؟

- حبيب عمو.. خش في حضني يا حبيبي.

* * *

لم يستجِب «إبراهيم» فورا للفكرة، لكنه قرر أن يسأل من هو أكبر منه خبرة وتجربة، الذي لم يشك «إبراهيم» مطلقا من أنه بالتأكيد قد عرج في هذا الاتجاه يوما، على الرغم من غياب هذه المعلومة عنه وقد صح توقعه..

- انت وصلت لفين يا «إبراهيم»؟ بقالك فترة مش بتعرض عليَّ حاجة..

- عاوز أسألك في موضوع مهم يا بروفسير.

- خير؟

- المخدرات.

books-spring.com

- آه.. تجربة مثيرة.. ومع الخمرة بقى بتبقى حكاية تانية خالص.. شوف يا «إبراهيم».. من حق كل واحد يجرب كل حاجة.. بس لو انت عاوز تستفيد من تجربة زي دي في موضوعك.. حاول.. بس مش هتوصل لحاجة على فكرة.. انطلاق الروح لا يعني مطلقا الغياب عن الوعي.. بالعكس.. لازم الواحد يبقى واعي جدا.. انت معلوماتك إيه عن الـ**Telepathy**؟

- التخاطر؟ أعتقد أنه حالة من التواصل عن بُعد.. بس بيتهيأ لي من غير تعمد أو قرار بده.

- أول واحد اتكلم في الموضوع ده كان فريدريك مايرز سنة **1882**.

- أيوه بس «مايرز» وغيره كلهم اتكلموا عن الظاهرة دي كقدرة عقلية مش روحية.

- وانت رأيك إيه؟

- آه الموضوع كده يختلف.

books-spring.com

- بالظبط.. ممكن تدخَّل الموضوع ده في الدراسة وتستخلص انت النتايج بنفسك.. ده أكيد مفيد عن المخدرات وتأثيرها على الروح.

* * *

وها هو «إبراهيم» يغوص في عوالم الخواطر متعرضا لثقافات عدة أجمعت بالكامل على أنها ظاهرة عقلية يتمتع بها بعض الناس ولا يتمتع بها آخرون.. ففي اليونانية وجد كلمة «**Telepathy**» هي من أصل لكلمة من مقطعين بمعنى التأثير عن بُعد. ويعد التخاطر أحد مظاهر الحاسة السادسة أو الإدراك فوق الحسي، وللحاسة السادسة مظاهر أخرى مثل الاستبصار، والمعرفة المسبقة. وعرف أن مؤسسي الفكرة أنفسهم - وعلى رأسهم «مايرز» وروجر لوكهرست ومن تبعوهما بعد ذلك - كان همهم الأساسي النشاط العقلي؛ حيث مفهوم التخاطر لا يختلف كثيرًا عن ظاهرة «وهم

books-spring.com

إدخال الأفكار أو انتزاعها من المخ». التشابه بين الظاهرتين ربما يشرح نشأة مفهوم التخاطر. «إدخال الأفكار أو انتزاعها» هو أحد أعراض انفصام الشخصية. بعض المرضى النفسيين المصابين بالفصام يعتقدون أن بعضا من أفكارهم ليست لهم بتاتا ويعتقدون أن أحد البشر أو المخلوقات الأخرى وضعوا تلك الأفكار فيهم (هذا هو إدخال الأفكار).. أما بعض المرضى الآخرين فيعتقدون أن هناك أفكارا تُنزع منهم نزعًا. هذه الأعراض من الممكن تخفيف حدتها عبر المهدئات. هذه الظواهر قادت العلماء لتقديم مفهوم التخاطر. الأرقام والدراسات تشير إلى أن مرضى الفصام الشخصي هم الأكثر ميلا للإيمان بظاهرة التخاطر.

ثم انحرف إلى التخاطر عبر التاريخ فوجد:

في فترة الاتحاد السوفيتي، سخَّرت الدولة الشيوعية الكثير من المقدرات المالية والبشرية لإثبات القدرات العقلية غير الطبيعية من دون نتائج. وقد ذكر ابن خلدون – في مقدمته – بعض الكرامات

books-spring.com

التي يمنحها الله لبعض عباده لغرض لا يعلمه إلا هو. والإنسان يعيش على كوكب الأرض منذ زمن طويل، ومن المؤكد أنه طوَّر قدرات لتساعده في البقاء والمحافظة على نسله، وخلال الثلاثة آلاف سنة الأخيرة لم تعد الحاجة لها مع ظهور الحضارة بانتشار الديانات السماوية، لكن تلك القدرات بقيت مدفونة. وهي ما زالت موجودة عند البدو الرحل، بما يعرف بـ«قص الأثر» الذي يمكِّنهم من البحث عن الناس المفقودين في الصحراء، وحادثة «سارية الجبل» الشهيرة لـ«عمر بن الخطاب» دليل على التخاطر. وكل إنسان له من القدرات المدفونة التي تظهر عند اقتراب الخطر، أو بالرياضة النفسية.. ويضم التخاطر أنواعا كثيرة منها:

* التخاطر المتأخر: انتقال الأفكار يأخذ فترة طويلة بين الانتقال والاستقبال.

* التخاطر التنبؤي والماضي: انتقال الأفكار في الماضي أو الحاضر والمستقبل بين إنسان وآخر.

books-spring.com

* تخاطر العواطف: عملية انتقال الأفكار والأحاسيس.

* تخاطر الوعي اللاطبيعي: يتطلب علم اللاوعي للوصول إلى الحكمة الموجودة عند بعض البشر.

وقرأ في انتقادها ما مفاده:

على الرغم من كون ظاهرة التخاطر ليست علما معتمدا، فإن هناك أناسًا يدرسون ما يسمى «السيكولوجية غير الطبيعية». وبعض هؤلاء الناس يجزمون بأن ظاهرة التخاطر هي علمية وصحيحة. بعض النقاد ينفونها ويعتقدون أن الإيمان بها هو نتيجة أوهام شخصية. قام بعض السَحَرة بتنفيذ طرق تشبه التخاطر، ولكن من دون استخدام أيٍّ من الظواهر غير الطبيعية. مشكلة ظاهرة التخاطر أنها لا تملك نتائج مكررة صحيحة في الأبحاث. وهذا ما يقود النقاد إلى دحض هذه الظاهرة لغياب الدليل.

وعن علاقتها بالروح لم يجد ما يكتبه في بحثه سوى:

books-spring.com

«يعيش الإنسان في عالمين، أولهما معروف، وهو الذي تهيمن عليه الإدراكات الحسية، كالسمع والبصر والذوق واللمس والشم، ويطلق عليه أيضا عالم الحس، والآخر هو العالم الروحي، أو كما يحلو للعلماء تسميته (عالم اللاوعي)، وهو الذي تهيمن عليه أبجدية غير معروفة حتى الآن، ويتخبط العلماء في فك رموزها، وبمعنى آخر: لو استعملنا مصطلحات الباراسيكولوجيا فهو يعرف بعالم الاستشفاف، وهو العالم الذي تتجلى فيه جميع الظواهر الروحية والقدرات غير الحسية، وكلا العالمين يعيش جنبا إلى جنب في حياة الناس، ويطغى بعضها على بعض حسب طبيعة الشخص ومقدراته الروحية أو الحسية وطبيعة البيئة التي يعيش فيها والعوامل المؤثرة التي يخضع لتأثيراتها؛ فالتواصل مع الآخرين عن طريق التخاطر يحدث عندما يهيمن عالم الاستشفاف على عالم الحس – أي: انخفاض قدرات عالم الحس وانكفاؤه – ولا علاقة بين القدرة اللاحسية من جهة والذكاء والأمور الغيبية، من جهة أخرى» وفقط.

books-spring.com

وهو ما دفعه دفعًا لمحاولة التأثير على أي ممن حوله حتى عن طريق الإيحاء بفكرة معينة من خلال جملة مبهمة يكتبها على مواقع التواصل الاجتماعي، معتقدا أن الآلاف من متابعيه قد يبزغ من بينهم من يحل طلاسم جملته إلى استنباط ما يريده.. إلا أن التجربة لم تؤتِهِ ما يرجوه من ثمار، فعزف عنها سريعًا مقررًا محاولة الجمع بين التجربتين: التخاطر والحشيش.

* * *

في «كافيه» راقٍ بمدينة السادس من أكتوبر، وبعد أن جلس «إبراهيم» و«عادل» وتناولا المنيو الخاصة بالطلبات؛ إذ بـ«إبراهيم» يميل على «عادل» هامسا في أذنه ملتفتا يمينا ويسارا في مشهد مسرحي:

- جبت البضاعة؟

books-spring.com

- هههههه.. حلوة.. البضاعة في الملاحات.

- أنا عاوزك في موضوع أهم.

- اؤمر.

- المصنع ومؤسسة غالي لتجارة الأخشاب.

- آه.. بس أنا ما بفهمش حاجة في الخشب.

- أكيد على الأقل هتبقى أحسن مني.. انت مش مهندس؟

- الموضوع عبارة عن إيه؟

- علي الرهوان.. أقدم واحد في الشغل مع بابا وعمو.. كل شوية يدوشني ويشحططني للعاشر أمضي ورقة أو شيك وانا مش فاهم حاجة خالص.. والأخطر من كده.. مصمم إني أروح دمياط وبورسعيد وإسكندرية ومشاوير مالهاش أول من آخر.

- وعايز مني إيه بقى يا «هيمو»؟

- عاوزك تمسك الشغل ده.

- آه.. امممم.. بكام؟ هههههه.

books-spring.com

- اللي انت شايفه مناسب.. أنا ما اعرفش الناس بتقبض كام أصلا.. كل حاجة منظمة وفيه شبه مؤسسة مسئولة عن الحسابات.. والموظفين مرتباتهم بتتحول على البنك كل أول شهر.. وفيه أرباح سنوية ونصف سنوية.. وفيه تصنيع واستيراد وتوزيع وتصدير وليلة كبيرة قوي.

- وانت بقى عاوزني أسيب شغلي واشتغل عند معاليك؟

- روح وشوف.. لو لقيت المرتب اللي تقدر تقبضه أكبر من اللي بتاخده.. دوس.. وانا من ناحيتي هعمل لك توكيل عام.. وعيش.

- انت عبيط يابني؟ توكيل إيه؟ بطل هبل.. الموضوع مش كده.. الحكاية كلها إن أنا مش هسيب المصنع اللي أنا فيه.. ده انتداب من دبي اللي هوَّ أصلا انتداب من أمريكا وفي أي وقت أقدر أخلع وأرجع على بلدي.

- بلدك؟! هيَّ أمريكا بلدك؟

books-spring.com

- طبعا.. أمال العك اللي انتوا عايشين فيه ده.. بص.. أنا ممكن أفضيلك نفسي وآجي معاك كام يوم أعرف مين مسئول عن إيه.. وأحاول أرشح لك حد يمسك الحكاية من اللي شغالين نفسهم.. وتعمل له توكيل إدارة.. هما كلهم قُدَام؟

- تقريبا.

- يبقى ما ينفعش تجيب حد من بره وتحطه فوقيهم.. خاصة لو ما عندوش خبرة في الشغلانة.. هيغرقوه ويغرقوك انت كمان.

- ماشي.. المهم نخلص.

- بالظاابط.. نخلص.. بعد ما تمسّك الشغل لحد بيفهم فيه بكام شهر والأمور تستقر.. بيع يا لطفي.

- أبيع؟ ده بيزنس شغال ودخله أعتقد إنه عالي قوي.

- أكيد.. بس من خلال خبرتي في البيزنس.. أأكد لك إن مفيش بيزنس بينجح من غير صاحبه ما يبقى على راسه ومتابع كل صغيرة وكبيرة بنفسه.. المال السايب يا صديقي.

books-spring.com

- نوقف بس الأمور على حيلها وبعدين نشوف موضوع البيع ده.

- قشطة..

* * *

الغيرة.. فقط الغيرة.. فكيف لفتاة هي في سنها ومن نفس الطبقة المتوسطة التي تنتمي إليها أن تظفر بما لم تظفر هي به من عريس شديد الثراء والأناقة وذي مركز مرموق؟ هكذا وعلى الرغم من حب «آية» الشديد لصاحبتها «هدى»، فإنها لم تستسغ مطلقا فكرة أن «هدى» سترتبط بـ«إبراهيم».. وأرادت أن تفعل أي شيء لتحول بين هذا الارتباط.. وعلى الرغم من يقينها أنها تفعل ذلك بدافع الغيرة فإنها حاولت إقناع نفسها أنها لو استطاعت التفرقة بينهما فإن ذلك في صالح صديقتها بالتأكيد؛ حيث إن «إبراهيم» غريب الأطوار، كما أخبرتها «هدى»، وليس على نفس درجة التزامها.. وأخذت

books-spring.com

تبحث عن الوسيلة التي تستطيع بها أن تدمر هذه العلاقة.. ووجدت ضالتها المنشودة حين زلت «هدى» بلسانها وأخبرتها أنها قد وجدت كشكوله من قبل.. وعلى الرغم من أن «هدى» قالت لـ«آية» إنها لم تقرأ المذكرات الخاصة بـ«إبراهيم» وإنها أعادت الدفتر دون أن تفتحه، فإنها قررت أن تستغل ذلك للوقيعة بين «إبراهيم» و«هدى».. وبالفعل جلست على الكمبيوتر الخاص بها بمنزلها وكتبت خطابا لـ«إبراهيم»:

- «دكتور إبراهيم.. من غير مقدمات.. أنا حد مهتم بإنك ما تتخدعش.. هدى، اللي انت بتفكر ترتبط بيها، خانتك.. أيوه خانتك.. سرقت الكشكول الخاص بمذكراتك وقرأته وأعادته لك.. وعرفت عنك كل شيء.. وألقت بحبالها لاصطيادك كعريس لقطة وغني ومركز.. أنا فقط حريص على مصلحتك.. والسلام»..

ووضعت الخطاب بحقيبة اللاب توب الخاصة بـ«إبراهيم»؛ حيث يتركها في غرفة الأساتذة ويأخذ اللاب توب ويدخل للقاء «لينين»

books-spring.com

في مكتبه، وهي متأكدة أن «إبراهيم» بالتأكيد ستتغير مشاعره وسيغِرُ صدره إذا علم الحقيقة.

وبالفعل، وجد «إبراهيم» الخطاب في أثناء جلوسه في منزله وإفراغ محتويات الحقيبة من أجل العمل..

فتح «إبراهيم» الخطاب وقرأه باستغراب ثم وضعه جانبا وفتح جهازه ثم تلقاه ثانية وأعاد القراءة ثم انفجر ضاحكا.

لم يتردد «إبراهيم» في أن يتناول محموله ويتصل بـ«هدى» التي ردت وهي فرحة:

- أيوه يا «إبراهيم».

تصنَّع «إبراهيم» الجدية الشديدة وسألها مباشرة وبحدة:

- انتي قريتي مذكراتي يا «هدى»؟

لتتلعثم «هدى» بشدة:

- أنا؟ إيه؟ آه.. لأ.

لينفجر «إبراهيم» ضاحكا مع استغرابها الشديد:

- فيه حد حب يفقع إسفين متين بيني وبينك يا «هدى».. وعلى فكرة، سواء قريتي مذكراتي أو لأ مش فارقة معايا.. وحتى لو كل اللي كتبه الحمار ده في الجواب اللي بعتهولي صح.. فأنا سعيد يا ستي إنك رميتي شباكك ونجحتي إنك تصطاديني.. هههه.

- بس مين اللي عاوز يعمل كده؟

- هيَّ مش كيميا على فكرة.. يا إما واحد بيحبك.. يا إما واحدة بتكرهك.. يا إما واحدة بتحبني.. يا إما واحد بيكرهني.. هههه.

- إوعى يا «إبراهيم» يكون الكلام ده ساب أي أثر في نفسك من ناحيتي.. أنا مكسوفة جدًّا والله.. وموضوع المفكرة دي جه صدفة وانا ما قريتش..

- مش مهم كل الكلام ده يا «هدى».. ما تشغليش بالك.. أنا عاوز آجي أقابل بابا.. يوم الجمعة الجاي مناسب؟

- مناسب جدًّا جدًّا.

- مش تسأليه طيب؟

books-spring.com

- لأ مش هاسأله، تعالى انت بس.. ده لو وراه إيه حتى.. علي عبد الظاهر مش هيتأخر عني أبدا في ظرف زي ده.

وضع «إبراهيم» محموله مبتسما محدثا نفسه:

- هيَّ دي اللي ألقت شباكها؟ ههههه.. دي هبلة.

* * *

يوم الخميس.. التاسعة مساءً.

- إحنا رايحين فين يا معلم؟

- رايحين الوكر يا ابو دومة.. ههههه.

- لأ بجد يا «عادل».. وكر إيه؟

- الكيف مناولة مش مقاولة يا «إبراهيم».

- نعم؟ مش فاهم.

- لما نروح هتفهم.

books-spring.com

داخل شقة متواضعة، **65** مترا، قليلة الأثاث، من الواضح أنها خُصصت لهذا الغرض بمدينة السادس من أكتوبر بعمارة غير مسكونة، وبعد إنهاك في طلوع خمسة أدوار دون أسانسير، وقبل انطلاق الدخان الأزرق، جلس «إبراهيم» يراقب «عادل» وخمسة أشخاص حوله.. مجموعة من الرجال كلهم حول الأربعين ولا يبدو عليهم مطلقا أي مظهر من مظاهر الشقاء.. كل منهم يقوم بدوره الذي بدا مرسوما له.. حتى «عادل» يقوم بفتح زجاجات الخمر مجهولة الهوية وإفراغ بعض منها في سبعة أكواب رفيعة لتوزيعها عليهم، بينما أحدهم يقوم بتكريس حجر الشيشة الملغم، بينما يقوم آخر بتفريغ عدة شرائط من الأدوية في طبق صغير خاص بطقم قهوة صيني لا يوجد منه سوى هذا الطبق ذي الوردة، بينما يقوم آخر بتقطيع قطعة حشيش تشبه إصبع الطباشير، غير أنها بنية اللون، إلى قطع صغيرة يبدو أن كل قطعة منها ذات استخدام خاص؛ حيث إنها قطع غير متساوية ولكنها بأحجام محسوبة..

والأخير – وهو من استرعى انتباهه بشكل خاص لما يقوم به من عمل دقيق – إذ وضع أمامه علبة سجائر مارلبورو أحمر ليخرج السجائر من داخلها سيجارة سيجارة.. وكلما تناول سيجارة قام ببلها بلسانه بالطول ثم إزالة الجزء المبلول بدقة ليحدث شقا بطول السيجارة ليظهر التبغ في هذا الشق دون الغطاء الورقي فيتناول قطعة صغيرة جدًّا من الحشيش ويضعها في فمه ويعضعضها بأسنانه ثم يخرجها ويفركها قليلا فتصبح حبيبات صغيرة يقوم بوضعها بدقة في الشق الذي صنعه في السيجارة ثم يتناول ورقة بفرة ويقوم بلف السيجارة بها بدقة فتبدو سيجارة عادية تماما وليست «مبطرخة» كما كان «إبراهيم» يراها في الأفلام.. فعل هذا الشخص ذلك في العشرين سيجارة، بينما موَّن الآخر حجر الشيشة ببعض الحشيش الذي سخَّنه أولا على شبكة في يد ثم وضعه مع خلطة المعسل قبل أن يضع الفحم بالماشة فوقها ليشعلها بأنفاس قصيرة متقطعة سريعة ثم نفس طويل يقوم بكتمه حتى يحمر وجهه ثم

يخرجه من فمه وأنفه معا مع أصوات غريبة من سقف الحلق..

وهكذا بدأوا يتناوبون الشيشة قبل إشعال السجائر.. غير أن «إبراهيم» رفض تناول الشيشة وبدا عليه امتعاض جعلهم جميعًا يضحكون قبل أن يتناول «عادل» إحدى السجائر ويقوم بغمسها في كوب الخمر ثم يشعل ولاعته ويضع لهبها على بعد من السيجارة ويمرر السيجارة فوق اللهب عدة مرات مع لفها بأصابعه وتصاعد دخان أسمر منها.. حتى ما إذا جفت السيجارة من الخمر واتخذت لونا أصفرَ من فعل اللهب، أشعلها وناولها لـ«إبراهيم» الذي أخذ منها نفسا جعله يسعل بشدة في البداية.. ثم نفسا آخرَ فثالثا ليتوقف في النفس الرابع ويبدأ رأسه في الدوران مع شعور ممتع أكمله له «عادل» بإعطائه قرصين من الطبق أحدهما أبيض والآخر أحمر، فتناولهما «إبراهيم» وأكمل السيجارة ثم انفصل عن عالمهم تماما، وبالفعل قابل الكثيرين وأخذ يتناقش ويتحاور معهم جميعًا وينتقل من شخص لآخر وهو بين الواعي والمغيب..

قابل «إقليدس، هنري هافلوك، إيمرسون، بوردن باركر، بيديا، تشومسكي، جلال الدين الرومي، الحلاج أبو المغيث، الحسين بن منصور، راسل، جان جاك روسو، جان بول سارتر».

يا لها من تجربة مثيرة وممتعة، لكنه أفاق منها ليجد نفسه في منزله صباح السبت يعاني صداعا شديدا ويفتح عينيه بصعوبة فيتطلع لمحموله لمعرفة الوقت والتاريخ ليفاجَأ بأربعين «ميسد كول» من «هدى» التي انتظرته بالأمس في منزلها وقد استعدت بالذهاب للكوافير وأطلقت شعرها ليراه للمرة الأولى، بينما ارتدى علي عبد الظاهر بدلة جديدة ورتبت «هدية» المنزل جيدًا في انتظار العريس المحترم الذي لم يأتِ ولم يعتذر.

* * *

books-spring.com

أفاق «إبراهيم» من نومه واستغل صعوبة تجميع كلماته في الحديث مع «هدى» في المحمول، التي ردت عليه منخرطة في البكاء فقال لها بصعوبة:

- اديني بابا.

- بابا في الشغل.

- اديني رقمه.

ليغلق الخط معها ويطلب أباها.

- أستاذ علي.

- أيوه.. مين؟

- أنا إبراهيم غالي.

- آه.. أهلا.. خير؟

- أنا راقد من يوم الخميس بالليل عيان وما فُقتش غير دلوقتي حالا.. تسمح لي آجي بكرة؟

- صوتك فعلا تعبان.

books-spring.com

- أكيد يا أستاذ علي.. انت أكيد تعرفني حتى لو من كلام «هدى».. أكيد أنا ما طنشتش المعاد أو استهبلت يعني.

- معقول برضه.. ماشي يا أستاذ «إبراهيم».. مستنيينك بكرة.. بس لو ناوي ترقد تاني.. ابقى اتصل.

- حاضر حاضر حاضر يا افندم.

ليقوم ويغسل وجهه فيرن محموله مرة أخرى ليجده «عادل» فيسبه بينه وبين نفسه ويغلق المحمول ثم يبتسم متذكرا الحالة التي كان عليها عاقدا العزم على تكرار التجربة ولكن بعد أن يذهب لطلب يد «هدى».

* * *

أمام بيت ذي طراز معماري قديم، لم تفلح العمارات الحديثة المحيطة به أن تتغلب على رونقه، بمنطقة الكوربة بمصر الجديدة،

books-spring.com

ينزل «إبراهيم» من سيارة عمه حاملا علبة من الجاتوه الفاخر وينظر إلى البيت مبتسما، حيث يشبه منزله في وسط البلد من حيث الطراز المعماري وارتفاع الطوابق والسلم الحديدي ذي الدرابزين الخشبي.

استقبل علي عبد الظاهر «إبراهيم» بحفاوة، بينما استقبلته «هدى» ببعض الفتور، مرتدية حجابها واضعة القليل من المساحيق، فيما يشبه عدم الاهتمام وهي تدخل حاملة صينية الشاي بالفناجين الصيني، واضعة طرف شفتها السفلى الأيسر أسفل أسنانها، لكنها ما لبثت أن ابتسمت ابتسامة سعادة بمجرد أن تلاقت عيناها بعيني «إبراهيم» المبتسم فنسيت من فورها كل اللوم الذي حضَّرته له..

عرف «إبراهيم» أن علي عبد الظاهر موظف حكومي في قطاع البريد ورث شقته هذه كإيجار قديم ممتد عن والده، وعرفوا هم أن «إبراهيم» ليس له أي أقارب وأنه لا يملك من المعارف إلا ثلاثة هم سيكونون معازيم فرحه: «عماد» و«عادل» و«لينين»..

books-spring.com

ومضى اللقاء كتعارف استطاع فيه «إبراهيم» أن يخترق قلب وعقل كل من «علي» و«هدية» بسهولة جعلتهما في نهاية اللقاء موافقين تماما على مشروع الزواج دون مقاومة ودون أن تضع «هدية» شروطا كثيرة ظلت لسنين تعدها لعريس ابنتها المستقبلي.

* * *

على الضوء الخافت داخل منزله العتيق، جلس «إبراهيم» منفردا بقطعة الحشيش التي اقتنصها في آخر جلسة مع رفقاء السوء الذين لم يهتم أصلا بأن يتعرف بهم أو أن يكون بينهم اتصال.. حتى عندما حاول «عادل» أن يعطيه فكرة عنهم من حيث إن أحدهم طبيب ذائع الصيت بل وأحدهم ضابط شرطة.. إلا أنه لم يهتم مطلقا؛ فهو يعلم جيدًا أن من جالسوه ليسوا رعاعا مدمنين وإنما مجموعة من الأغنياء جمعتهم الرغبة في التحليق خارج المألوف؛ إذ

books-spring.com

لم يبدُ على أحد منهم أي مظهر من مظاهر الغُلب أو المشاكل عميقة الرغبة في الحلول أو الهروب.

قرر أن يعيد التجربة منفردا، متخذا الكيف مقاولة لا مناولة، كما يعتقد «عادل»، وإنما رأى أن الكيف حالة فردية، حيث حالة التحليق لا يصح أن يشاركه فيها أحد، خاصة أنه لم يشعر بهم وبضحكاتهم مطلقا في المرة السابقة بعد أن دار رأسه وبعد أن حكى له «عادل» أن ليلة المزاج السابقة كان هو ضيف شرفها الذي أشعل الجلسة ضحكا بعد أن جلس يحدثهم عن الروح بطريقة لم يتمالك معها الحشاشون أنفسهم من الضحك وأدلى كل منهم دلوه بقفشة أو جملة ليست بالمضحكة مطلقا ولكنها كانت كفيلة بأن تقتلهم ضحكا نظرا لحالتهم «روح وتعالى بسرعة.. يا روح النونو.. أعقبتها كتاكيتو بني.. ثواني أروح أتحزم واجيلك.. ومين بول ترتر ده مش كفاية إنه بول لأ وكمان ترتر».. وهكذا من التعليقات السمجة التي أردتهم ضحكا.

جلس مستمتعا بمحاولة عمل السيجارة المحشية غير «المبطرخة» كما رآها من قبل، وغمسها في زجاجة خمر تعمَّد أن تكون رخيصة اشتراها من محل للخمور في وسط البلد دلفه وهو عائد من زيارة الخطبة وطلب من البائع داخل المحل أرخص زجاجة خمر؛ حيث اعتقد أن الخمر كلما زادت رداءتها زاد تأثيرها.

كما مر على «عماد» وأخذ منه بعض أقراص تهدئة الأعصاب الخاصة بأبيه، قائلا إنه ذاهب لزيارة أحد من يتألمون ولا يستطيعون الحصول على هذه الأدوية، وعلى الرغم من أن «عماد» لم يبتلع القصة فإنه أعطاه ما يريد، خاصة أنه لم يعتَد من «إبراهيم» الكذب.

وبعد الجلسة مكتملة التحضير، أنهى «إبراهيم» عدة سجائر مغموسة وملغمة واستسلم لأحلامه فائقة الخيال، وحيث تعدت هذه المرة حدود الفلاسفة لعوالم أخرى من الأرواح والجن، بل ومن اعتقدهم ملائكة.. ومرت ليلتان من الانعزال أعقبتا هذه التجربة،

books-spring.com

لكن «إبراهيم» هذه المرة لم تعجبه النتائج؛ حيث أيقن أن ما رآه خيال ووصفه فيما كتب بالرداءة والتكلف؛ حيث لم تنطلق روحه كما أراد.. فقد كان يعتقد أن زيادة الجرعة مع التصميم على إطلاق الروح كفيلان للذهاب إلى ما هو أبعد من ذلك، فتخيل أنه سيرى حادثا يحدث ثم يقرأ عنه بعد ذلك، أو أنه سيعرف من الذي سيصيبه الدور الخاص بلقاء حارس البوابة، أو حتى سيزور أناسا ويعلم عنهم كل شيء ثم يتأكد من ذلك فيجده صحيحا.. وهو ما لم يحدث، فقرر أن يسلك مسلكا آخر من الغياب عن الوعي، وبدأ في قراءة كل ما يستطيع عن الإدمان ومواده؛ حيث إنه يريد التعامل مع مخدرات أقوى تأثيرا.. دون الدخول في دوامة الإدمان.. وكانت مشكلته هنا من أين يحصل على كوكايين أو هيروين ليتعاطى جرعة واحدة فقط ولا يكررها.

* * *

books-spring.com

- باركيلي.. «إبراهيم» جالنا البيت وقابل بابا.

- نعم؟ إزاي؟ بعد ما...

- بعد ما إيه يا «آية»؟

- يعني بعد كل الكلام اللي حكيتيهولي عن إنه مش واضح ومشاعره مش باينة.

- ولّا بعد الجواب؟

- جواب؟ أأأأ.. ججج جواب إيه؟

- أصله جاله جواب بيحذره مني ومن شباكي اللي نصبتها حواليه بعد ما عرفت أسراره.

- ومين الواطي اللي عمل كده؟

- مش لازم يكون واطي.. يمكن واطية يا «آية».. واطية يا حبيبتي.

books-spring.com

- عموما ألف مبروك وربنا يتمم بخير.. ما تشغليش انتي بالك بأي حاجة تضايقك.. افرحي أحسن.

- صح أنا بقول كده برضه.. عقبالك.

- وانتي من أهله يا «هدهودة».. تفتكري فيه حد زي «إبراهيم» كده ممكن يبص لي؟

- أولا: انتي جميلة ومنطلقة ودمك خفيف.. ثانيا: مش لازم زي «إبراهيم».. أصلا «إبراهيم» مفيش زيه.. هههههه.

- ماشي يا زبالة.

- أنا برضه؟ ماشي يا «آية».

- وفيه مواعيد وكده ولولولولي؟

- لسه.. بس طبعا هقول لك.. أنا ناوية أعرفك كده ولّا كده.

- ومالك بتتكي على أعرفك كده ليه كأنك بتقولي أعرفك شغلك؟ ده إحنا اصحاب ومالناش غير بعدينا يا حبيبتشي.

- تَبعًا يا حبيبتشي.. وأنا قلت غير كده؟

books-spring.com

* * *

في حفل بسيط للغاية على غير توقعات «هدى»، اجتمع «إبراهيم» وأصدقاؤه الثلاثة في بيت علي عبد الظاهر مع حضور قليل من معازيم «هدى» وأصدقائها ليُلبسها «إبراهيم» الشبكة التي اشتراها وحده.. وعلى الرغم من سعادتها الطاغية بالحدث فإن بعض الإحباط حاول التسلل إلى نفسها؛ حيث تعلم جيدًا سابقة «إبراهيم» في مناسبة مشابهة واهتمامه بإسعاد مخطوبته السابقة التي حاولت «هدى» أن تشبهها في هذه الليلة من حيث اختيار الفستان وذوقه.. لكنها في النهاية ارتضت بكلمات «إبراهيم» القليلة عن سعادته وعن إعجابه بجمالها في هذا الفستان غير المحتشم.

ومرت الحفلة هادئة وتخللها بعض الرقص القليل من صديقاتها و«عماد» و«عادل» الذي حصل في الحفل على رقمي تليفون

books-spring.com

أحدهما هو رقم «آية» التي قررت أن تظفر بالعريس الأمريكي صديق معشوقها السابق.

بعد انتهاء الحفل، عانت «هدى» مغصا شديدا أفصحت عنه لوالدتها التي أرجعته بالطبع للحسد، إلا أن «هدية» حينما قامت لتصلي الفجر مع زوجها دخلت للاطمئنان على «هدى» فوجدتها غارقة في نزيف شديد ولا تقوى على القيام.

* * *

في المستشفى؛ حيث تم حجز «هدى»، وبعد أن حضر «إبراهيم» وطمأنه الأطباء على حالتها وأرجعوا النزيف إلى حالة نفسية، مردفين أنه قد توقف وأنهم سيحجزونها ليوم آخر حتى لا يتكرر بشكل مقلق، وحيث باتت «هدية» برفقة «هدى»، اصطحب إبراهيم حماه «علي» إلى منزله، وطوال الطريق كان «علي» هو الذي

books-spring.com

يطمئن «إبراهيم»، بينما ظل الآخر واجما وودعه في النهاية بإشارة دون حديث وانطلق إلى منزله فأغلق أبوابه وخلع ملابسه وجلس القرفصاء منزويا في ركن من الصالة الواسعة دون إشعال أي مراوح أو مكيفات تتساقط حبات العرق على جبينه ويمتلئ بها جسده في مناخ حار لم يحدث أن سبق في شهر يوليو من قبلُ.. وبعد وقت غير معلوم وقف «إبراهيم» رافعا يديه إلى السماء وموجها بصره إليها مطلقا صوته بأعلى ما يستطيع:

- خلاااااااااااص.. مش هاتجوزها.. مش عايزها.. سيبها تعيش وتفرح وتتجوز وتخلف وتموت وحواليها ولادها وأحفادها.. أنا مش مهم.. أنا عرفت الحقيقة.. لا هاتجوزها ولا هاتجوز غيرها.. الرسالة وصلت يا عم الحارس.. خلاااااااص.. هعيش لوحدي خالص.. مش هحب حد.. ولا هطمع إني أعيش إنسان طبيعي زي بقية البشر.. أقول لك.. أنا نازل أجيب أي واحدة من الشارع وهقضيها..

books-spring.com

ملعون أبو الجواز وملعون أبو الحب يا سيدي.. خلاااااص.. خلاااااص.. خلاااااااااااااااااااص.. بس سيبها.

* * *

بدا لـ«إبراهيم» أن توسلاته قد أتت ثمارها؛ حيث تحسنت حالة «هدى» تماما وتعافت خلال أيام.. وقد اتخذ قراره ألا يكمل قصتها وألا يكون زوجها يوما، وانطلق لأيام مقبلا على المخدرات واستقر به الحال مع بداية الدراسة في مصحة لعلاج الإدمان ذهب إليها بنفسه وبمحض إرادته ودون معرفة أحد غير «عماد».. بعد أن تبينت له الحالة التي وصل إليها من ضمور شديد وإهمال لنفسه ومظهره.. أخذ إجازة من الكلية مع بداية العام الدراسي وأغلق محموله واستمر في علاجه إلى أن تعافى تقريبا في بداية أكتوبر.. كانت تجربة المصحة بالنسبة لـ«إبراهيم» فريدة؛ حيث انطلق خياله

books-spring.com

في بدايتها إلى آفاق بعيدة من التحليق لدى جميع عصور الإنسانية، بل وما قبلها من الغيلان والديناصورات، إلا أنه في نهايتها قد استقر نفسيا إلى حد كبير واتخذ قرارا نهائيًّا في موضوع بحثه.. اعتبر «إبراهيم» نفسه قد قضى في المصحة فترة استجمام عاد بعدها إلى الكلية باذلا مجهودا كبيرا في المحافظة على صورته السابقة ومجهودا أكبر في إغراق «هدى» بالهدايا، التي بلغت أن أهداها مجموعة ماسات وقطعة أرض مبانٍ يتعدى سعرها السبعة أصفار والتي أسعدت «هدية» بشكل خاص.. كما أغدق عليها بكلمات الحب المعسول ولم يعطِ أحدا أي إشارة إلى عدم نيته الزواج أو ما شابه.. وبعد جلسة مع علي عبد الظاهر حددا موعد الزفاف في إجازة نصف العام.. وأخبر «لينين» أنه قارب على الانتهاء من بحثه، كما أهدى «عماد» صديقه سيارة حديثة وقام بعمل توكيل بنوك وتوكيل رسمي عام لـ«عادل» لإدارة أمواله المترامية التي لا يحصيها، وقرر إقامة حفل في إحدى القاعات في

books-spring.com

فندق راقٍ بمصر الجديدة يوم الاثنين المتوسط لشهر أكتوبر.. طلب من «عادل» أن يدفع تكاليفه ثم يحاسبه.. معلنًا أنه سوف يعلن مفاجأته التي حضَّرها للحضور في هذا الحفل، والتي تتعلق بقراره تجاه بحثه الطويل عن الروح وحارس البوابة.

وفي موعد الحفل، الذي كان مدعووه هم: «هدى» و«عماد» و«عادل» و«لينين».. توجه الجميع للمكان وتتابع قدومهم، حتى إذا ما استقروا بالقاعة متسائلين عن عدم مجيئه حتى الآن.. ولا أحد منهم يعرف الإجابة.. إذا بمحمول «هدى» يرن برقمه.

- أيوه يا «هدى» وحشتيني.

- انت ما جيتش ليه يا حبيبي؟ كلنا وصلنا.

- الكل جه: «عادل» و«لينين» و«عماد»؟

- أيوه وبياكلوا ويشربوا.. ما رضوش يستنوك.. جدعان قوي.. ههه.

- هايل.. أنا عاوزكم كلكم تيجوا عندي في البيت.

books-spring.com

- اشمعنى؟ ما تيجي انت.. وبعدين أصحابك مش هيمشوا قبل ما يخلصوا الجمبري.

- هههههه.. خليهم يخلصوه وتعالوا.. تعالوا كلكم مع بعض.. ماشي؟

- ماشي.

وبالفعل انطلقوا مبتهجين - إلا «عماد» - بعد نسف الجمبري، وركبوا جميعًا سيارة «عادل» وهم يتبادلون التكهن حول مفاجأة «إبراهيم» ضاحكين، بينما كان «عماد» واجما لا يستطيع مجاراتهم في ابتهاجهم، في حين يشاركهم «لينين» بهجتهم وهو شبه واثق مما ينتظرهم.. استغرقت الرحلة حوالي الساعة، وصلوا بعدها إلى بيت «إبراهيم» ووجدوا بابه مفتوحا.. أراد «عماد» أن يرن الجرس قبل أن يدخلوا، غير أن «عادل» قال له إنها بالتأكيد جزء من المفاجأة.. دخلوا إلى المنزل ولم يجدوا شيئا غير سهم وضعه «إبراهيم» على حامل، مشيرا إلى غرفة المكتب.. دلفوا إلى غرفة المكتب ليجدوا

books-spring.com

سهما آخر مشيرا إلى المكتب ذاته الذي يخلو من أي شيء إلا «اللاب توب» الخاص بـ«إبراهيم»، الذي قفز «عادل» مباشرة ليجلس خلف المكتب ويشغل الفيديو المفتوح به وحوله ثلاثتهم ينظرون إلى «اللاب توب» في وجوم ليروا «إبراهيم» جالسا:

- أستاذي «لينين».. أنا عارف إن انت الوحيد اللي هترحب باللي أنا عملته ومش هيشغلك كتير.. واطّمن أنا بتبع الأسلوب العلمي.. ههه.... عادل باشا.. انت للأسف كنت السبب في تصرفات كتير أنا عملتها من غير داعي وممكن كمان تكون من أهم الأسباب للقرار اللي أنا خدته، بس ما يهمكش أنا إنسان بالغ وعاقل ورشيد.. «عماد» صديق عمري وأطيب قلب.. ما تزعلش.. حبيبتي «هدى».. أيوه حبيبتي، اللي اتمنيت أعيش معاها وآخدها بين أحضاني ونملا الدنيا بهجة وأولاد وسعادة.. أنا آسف.. بس الـ**deal** كده.. علشان تعيشي لازم أنا أبعد.. أنا قررت إني أقابل حارس البوابة بنفسي علشان أعرف كل اللي بيحصل بنفسي علشان أكمل

books-spring.com

البحث بتاعي.. والنتايج اللي هوصل لها هبلغكم بيها.. بنفسي برضه.. عن طريق إني هازوركم في أحلامكم أول ما ألاقي الفرصة المناسبة.. وانتوا بتتفرجوا ع الفيديو ده أنا فوق في الدور التالت.. ميت.. ونايم في الفورمالين في البانيو.. حقنت نفسي بجرعة من محلول ملحي عادي بس حطيت عليه قليل من السيانيد القاتل.. سأنطلق.. مع السلامة.

لم تصدق «هدى» ما سمعت فارتمت على الحائط خلفها مشدوهة، بينما انطلق «عماد» إلى الدور الثالث ثم تبعوه جميعًا؛ حيث وجدوه متسمرا أمام الصالة المضيئة ذات الرائحة الكريهة الممتلئة بالأطباق البلاستيكية مختلفة الأحجام، وحيث في كل طبق حيوان ميت مغطى بالماء والفورمالين.. قطط وكلاب وأرانب.. تغلبوا على مفاجأتهم بالتوجه للحمام ليجدوا «إبراهيم» ممددا داخل البانيو وقد فارق الحياة بينما الحقنة ما زالت بذراعه... ذهب «إبراهيم» إلى حيث أراد ليستكشف ما سيأتي راغبا أن يضع حدا لأفكاره.

books-spring.com

* * *

بعد أربعين يوما من البكاء والنحيب المتواصل من «هدى» ومحاولة أبويها التخفيف عنها، وبعد خروجها من المستشفى بعد تعافيها من حالة نزيف أكبر من سابقتها، حيث اضطر الأطباء لحجزها في المستشفى لمدة تجاوزت الشهر، خرجت بعدها ذابلة وقد فقدت نصف وزنها.. قامت «هدية» بعمل شوربة عدس دافئة وقدمت لـ«هدى» كوبا منها وهي في سريرها بالمنزل، حيث نهاية شهر سبتمبر وقد بدأ الجو في البرودة ليلا.. تناولت «هدى» الشوربة وتقوقعت تحت غطائها الذي أحكمته «هدية» حولها وتركتها..

- «هدى».. يا «هدى».

لترى «إبراهيم» مكتمل الهيئة أمامها مبتسما:

- وحشتيني يا «هدى».

books-spring.com

- «إبراهيم».. انت.. إيه؟

- أنا جيت زي ما وعدتكم أحكيلكم اللي حصل.

لتفيق من نومها منزعجة.. مرددة:

- أستغفر الله العظيم.

وتنطلق إلى الراديو لتفتحه على إذاعة القرآن الكريم ليأتيها صوت الشيخ عبد الباسط العذب مرددًا: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلا قَلِيلا»... صدق الله العظيم.

* * *

تمت

* * *

books-spring.com

**الهوامش**

1 − **F.Nietzsche: La naissance de la tragédie.**

**Traduction et représentation de: Cornelius Heim. Bibliothèque médiation. Edition: Denoel. Paris 1964, p. 112**

2 − **F.Nietzsche. Denoel, p. 93.**

3− **Lectures read at the Pastors' Institute held at Dr. Martin Luther College, New Ulm, Minnesota, July 8–12, 1963. The Old Testament Concept of the Soul**

4− **Kant's Critique of Metaphysics**

***First published Sun Feb 29, 2004; substantive revision Tue Apr 10, 2012***

**5− في اللغة الدارجة نخلط دائما بين النفس و الروح، فنقول إن فلاناً طلعت روحه.. و نقول إن فلاناً روحه تشتهي كذا، أو أن روحه تتعذب أو أن روحه توسوس له، أو أن روحه زهقت، أو أن**

**روحه اطمأنت، أو أن روحه تاقت و اشتاقت أو ضجرت و ملت.. و كلها تعبيرات خاطئة، و كلها أحوال تخص النفس و ليس الروح.**

**فالتي تخرج من بدن الميت عند الحشرجة و الموت هي نفسه و ليست روحه.**

**يقول الملائكة في القرآن للمجرمين ساعة الموت:**

**))أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون )) (93 – الأنعام(**

**و التي تذوق الموت هي النفس و ليس الروح.**

**))كل نفس ذائقة الموت )) (185 – آل عمران(**

و النفس تذوق الموت و لكن لا تموت.. فتذوقها الموت هو رحلة خروجها من البدن، و النفس موجودة قبل الميلاد، و هي موجودة بطول الحياة، و هي باقية بعد الموت، و عن وجود الأنفس قبل ميلاد أصحابها يقول الله: إنه أخذ الذرية من ظهور الآباء قبل أن تولد و أشهدها على ربوبيته حتى لا يتعلل أحد بأنه كفر لأنه وجد أباه على الكفر.

))و إذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم و أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين، أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل و كنا ذريةً من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون، و كذلك نفصل الآيات و لعلهم يرجعون )) (172، 173، 174 – الأعراف(

فذلك مشهد أحضرت فيه الأنفس قبل أن تلابس أجسادها بالميلاد، و ليس لأحد عذر بأن يكفر بعلة كفر أبيه، فقد كان لكل

books-spring.com

**نفس مشهد مستقل طالعت فيه الربوبية.. و بهذا استقرت حقيقة الربوبية فطرتنا جميعاً.**

**ثم إن الروح لا توسوس، و لا تشتهي و لا تهوى و لا تضجر و لا تمل و لا تتعذب، و لا تعاني هبوطا و لا انتكاسا. إنما تلك كلها من أحوال النفس و ليس الروح.**

**يقول القرآن:**

**))فطوعت له نفسه قتل أخيه)) (30 – المائدة(**

**))و لقد خلقنا الإنسان و نعلم ما توسوس به نفسه)) (16 – ق(**

**))و نفس و ما سواها، فألهمها فجورها و تقواها)) (7، 8 – الشمس(**

**))بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل)) (18 – يوسف(**

))و ضاقت عليهم أنفسهم و ظنوا ألا ملجأ من الله إلا إليه))

(118 – التوبة(

))إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا و تزهق أنفسهم))

(55 – التوبة(

))و من يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه)) (130 – البقرة(

))و من يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)) (9 – الحشر(

))و أحضرت الأنفس الشح) (128 – النساء(

))و ما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء)) (53 – يوسف(

فالنفس هي المتهمة في القرآن بالشح و الوسواس و الفجور و الطبيعة الأمارة، و للنفس في القرآن ترق و عروج، فهي يمكن أن تتزكى و تتطهر، فتوصف بأنها لوامة و ملهمة و مطمئنة و راضية و مرضية.

books-spring.com

))يأيتها النفس المطمئنة، ارجعي إلى ربك راضية مرضية، فادخلي في عبادي، و ادخلي جنتي)) (27 – 30 الفجر(

أما الروح في القرآن فتذكر دائما بدرجة عالية من التقديس و التنزيه و التشريف، و لا يذكر لها أحوال من عذاب أو هوى أو شهوة أو شوق أو تطهر أو تدنس أو رفعة أو هبوط أو ضجر أو ملل، و لا يذكر أنها تخرج من الجسد أو أنها تذوق الموت.. و لا تنسب إلى الإنسان و إنما تأتي دائما منسوبة إلى الله.

يقول الله عن مريم:

))فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا)) (17 – مريم(

و يقول عن آدم:

))فإذا سويته و نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين)) (29 – الحجر(

يقول (( روحي )) و لا يقول روح آدم.

**فينسب ربنا الروح لنفسه دائما.**

**))و أيدهم بروح منه)) أي من الله (22 – المجادلة(**

**و يقول عن القرآن و نزوله على النبي عليه الصلاة و السلام:**

**))و كذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا)) (52 – الشورى(**

**و يقصد بالروح هنا الكلم الإلهي القرآني.**

**))يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق)) (15 – غافر(**

**))ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده)) (2 – النحل(**

**و الروح هنا هي الكلمة الإلهية و الأمر الإلهي.**

**و الروح دائما تنسب إلى الله، و هي دائما في حركة من الله و إلى الله و لا تجري عليها الأحوال الإنسانية و لا الصفات البشرية.. و لا يمكن أن تكون محلا لشهوة أو هوى أو شوق أو عذاب.**

و لهذا توصف الروح بأوصاف عالية.

فيقول القرآن عن جبريل: إنه روح القدس.. و الروح الأمين.

و يقول عن عيسى إنه (( رسول الله و كلمته ألقاها إلى مريم و روح منه)) أي روح من الله (171 – النساء(

أما النفس فهي دائما تنسب إلى صاحبها.

))و ما أصابك من سيئة فمن نفسك)) (79 – النساء(

))و من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه)) (15 – الإسراء(

))و ضاقت عليهم أنفسهم)) (118 – التوبة(

))و ما أبرئ نفسي)) (54 – يوسف(

))و كذلك سولت لي نفسي)) (96 – طه(

))و من يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)) (9 – الحشر(

))و من يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه)) 130 – البقرة(

books-spring.com

و حينما تنسب النفس إلى الله فتلك هي الذات الإلـهية.

))و يحذركم الله نفسه)) (28 – آل عمران(

ذلك هو الله ليس كمثله شيئ و هو مما لا يستطيع الإنسان أن يتخيل له شبيها و لا يصح أن نقيس النفس الإلـهية على نفوسنا..

فالنفس الإلـهية هي غيب الغيب.

يقول عيسى لربه يوم القيامة:

))تعلم ما في نفسي و لا أعلم ما في نفسك)) (116 – المائدة(

فالنفس الإلـهية لا تتشابه مع النفس الإنسانية إلا في اللفظ و لكنها شيء آخر البتة..

))ليس كمثله شيء)) (11 – الشورى(

))لم يكن له كفوا أحد)) (4 – الإخلاص(

**و السؤال إذن:**

**ما نصيب كل منا من الروح؟**

**و ماذا نعني حينما نقول إن لنا روحا و جسدا؟**

**ثم ما علاقة نفس كل منا بروحه و جسده؟**

**أما نصيبنا من الروح فهو النفخة التي ذكرها القرآن في قصة خلق آدم.**

**))إني خالق بشرا من طين، فإذا سويته و نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين)) (71، 72 – ص(**

**و ما حدث من أمر التسوية و التصوير و النفخ في صورة آدم يعود فيتكرر في داخل الرحم في الحياة الجنينية لكل منا.. فيكون لكل منا تسوية و تصوير، ثم نفخة ربانية حتى تتهيأ الأنسجة و يستعد المحل لتلقي هذه النفخة، و ذلك يكون في الشهر الثالث**

books-spring.com

من الحياة الجنينية، و ينتقل الخلق بهذه النفخة من حال إلى حال..

يقول ربنا عن هذه المراحل:

))ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين)) (14 – المؤمنون(

فيقول عند النفخة: ((ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين)).. إشارة إلى نقلة هائلة نقل بها المضغة المكسوة بالعظام إلى مستوى لا يبلغه و لا يقدر عليه إلا أحسن الخالقين.. و ذلك بالنفخة الربانية.

و يتكلم عن هذا النفخ في الجنين بعد تسويته في آية أخرى عن نسل آدم.

books-spring.com

))ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، ثم سواه و نفخ فيه من روحه و جعل لكم السمع و الأبصار و الأفئدة)) (8، 9 – السجدة(

و نفهم من هذا أن السمع و البصر و الفؤاد هي من ثمار هذه النفخة الروحية.. و إنه بهذه المواهب ينقل الإنسان من نشأة إلى نشأة و من مستوى إلى مستوى، و هذا هو معنى.. ((ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين.((

إن نصيبنا من هذه الروح إذن هو نصيبنا من هذه النفخة.. و كل منا يأخذ من هذه النفخة على قدر استعداده.

و بفضل هذه النفخة يصبح للواحد منا خيال و ضمير و قيم و عالم من المثل.. و الجسد و الروح فينا أشبه بأرض الواقع و سماء المثال.

books-spring.com

و علاقة نفس كل منا بروحه و جسده هي أشبه بعلاقة ذرة الحديد بالمجال المغناطيسي ذي القطبين.

و الذي يحدث للنفس دائما هو حالة استقطاب، إما انجذاب و هبوط إلى الجسد، إلى حمأة الواقع و طين الغرائز و الشهوات، و هذا هو ما يحدث للنفس الجسدانية الحيوانية حينما تشاكل الطين و تجانس التراب في كثافتها، و إما انجذاب و صعود إلى الروح، إلى سماوات المثال و القيم و الأخلاق الربانية، و هو ما يحدث للنفس حينما تشاكل الروح و تجانسها في لطفها و شفافيتها.. و النفس طوال الحياة في حركة و تذبذب و استقطاب بين القطب الروحي و بين القطب الجسدي.. مرة تطغى عليها ناريتها و طينتها، و مرة تغلبها شفافيتها و طهارتها.

books-spring.com

و الجسد و الروح هما مجال الامتحان و الابتلاء، فتبتلى النفس و تمتحن بهاتين القوتين الجاذبتين إلى أسفل و إلى أعلى لتخرج سرها، و تفصح عن حقيقتها و رتبتها و ليظهر خيرها و شرها.

و من هنا نفهم أن حقيقة الإنسان هي((نفسه))، و الذي يولد و يبعث و يحاسب هو نفسه، و الذي يمتحن و يبتلى هو نفسه، و ما يجري عليه من الأحوال و الأحزان و الأشواق هي نفسه.. أما جسده و روحه فهما مجرد مجال تماما مثل الأرض و السماوات في كونهما مجال حركة بالنسبة للإنسان لإظهار مواهبه و ملكاته.. فكما أعطى الله لهذه النفس عضلات (جسدا) كذلك أعطاها روحا لتحيا، و تعمل و تكشف عن سرها و مكنونها و تباشر خيرها و شرها.

books-spring.com

و بهذا المعنى تكون كلمة (( تحضير الأرواح )) كلمة خاطئة، فالأرواح لا تستحضر، و لا يمكن لأي روح أن تستحضر، لأن الروح نور منسوب إلى الله وحده، و هو ينفخ فينا هذا النور لنستنير به.. و هذا النور من الله و إلى الله يعود و لا يمكن حشره أو استحضاره.. أما ما يحشر و يستحضر فهي الأنفس و ليس الأرواح.. هذا إذا صح أن هؤلاء الناس يستحضرون أنفسا في جلساتهم.. و أغلب الظن أن ما يحضر يكون من الجن المصاحب لهذه الأنفس في حياتها (القرناء)، و كل منا له في حياته قرين من الجن يصاحبه، و هو بحكم هذه الصحبة الطويلة يعرف أسراره و يستطيع أن يقلد صوته و إمضاءه، و هذا الجن هو الذي يلابس الوسيط في غرفة التحضير المظلمة، و يدهش الموجودين بما يحسبونه خوارق.

أما الأرواح فلا يمكن استحضارها.

books-spring.com

أما الأنفس فلا يحشرها و لا يحضرها إلا ربها.

و النفس لا يمكن أن تتحول إلى روح، و إنما هي في أحسن أحوالها ترتقي حتى تشاكل الروح و تجانسها بقدر ما تتخلق بالأخلاق الربانية، و بقدر ما تقترب من المثال النوراني (الروح التي نفخها الله في الإنسان.(

كذلك يمكن لهذه النفس أن تتدنى و تهبط حتى تشاكل الشياطين، و تجانس إبليس في ناريته.

و النفس التي تتطهر و تتزكى حتى تشاكل و تجانس الروح في لطفها هي التي يقربها الله من عرشه يوم القيامة، و هي التي يقول عنها إنها ستكون (( في مقعد صدق عند مليك مقتدر)) (55 – القمر(

..لأنها بهذا التطهر و الترقي تصبح نفسا ربانية مكانها إلى جوار الله.

books-spring.com

أما النفوس المظلمة التي تهبط بفجورها و غلظتها إلى الدرك الشيطاني فهم الذين يقول عنهم ربهم يوم القيامة:

))إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون)) (15 – المطففين(

و هؤلاء سيكون مكانهم مع النفوس النارية السفلية في قاع الظلمة و الجحيم. أما الروح فلا مكان لها في جنة أو جحيم، و إنما هي نور من نور الله تنسب إليه، و هي منه و لايجري عليها ابتلاء و لا محاسبة و لا معاقبة و لا مكافأة.. و إنما هي المثل الأعلى في الآية:

))و له المثل الأعلى و هو العزيز الحكيم)) (60 – النحل(

))و له المثل الأعلى في السماوات و الأرض و هو العزيز الحكيم)) (27 – الروم(

و ذلك عالم المثال النوراني الذي يستمد قدسيته و نورانيته من كونه من الله و من أمر الله.

books-spring.com

**))و يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي و ما أوتيتم من العلم إلا قليلا)) (85 – الإسراء(**

**المصدر : كتاب القرآن كائن حي**

**للدكتور مصطفى محمود**

***

تمت الاستعانة أيضا بشبكة الإنترنت .. مقالات وفيديوهات للشيخ الشعراوى .. وكذلك موقع ويكيبيديا .. بالإضافة لعدة مقالات من مواقع مختلفة مثل

**http://www.paranormalarabia.com/2008/10/blog-post_31.html**